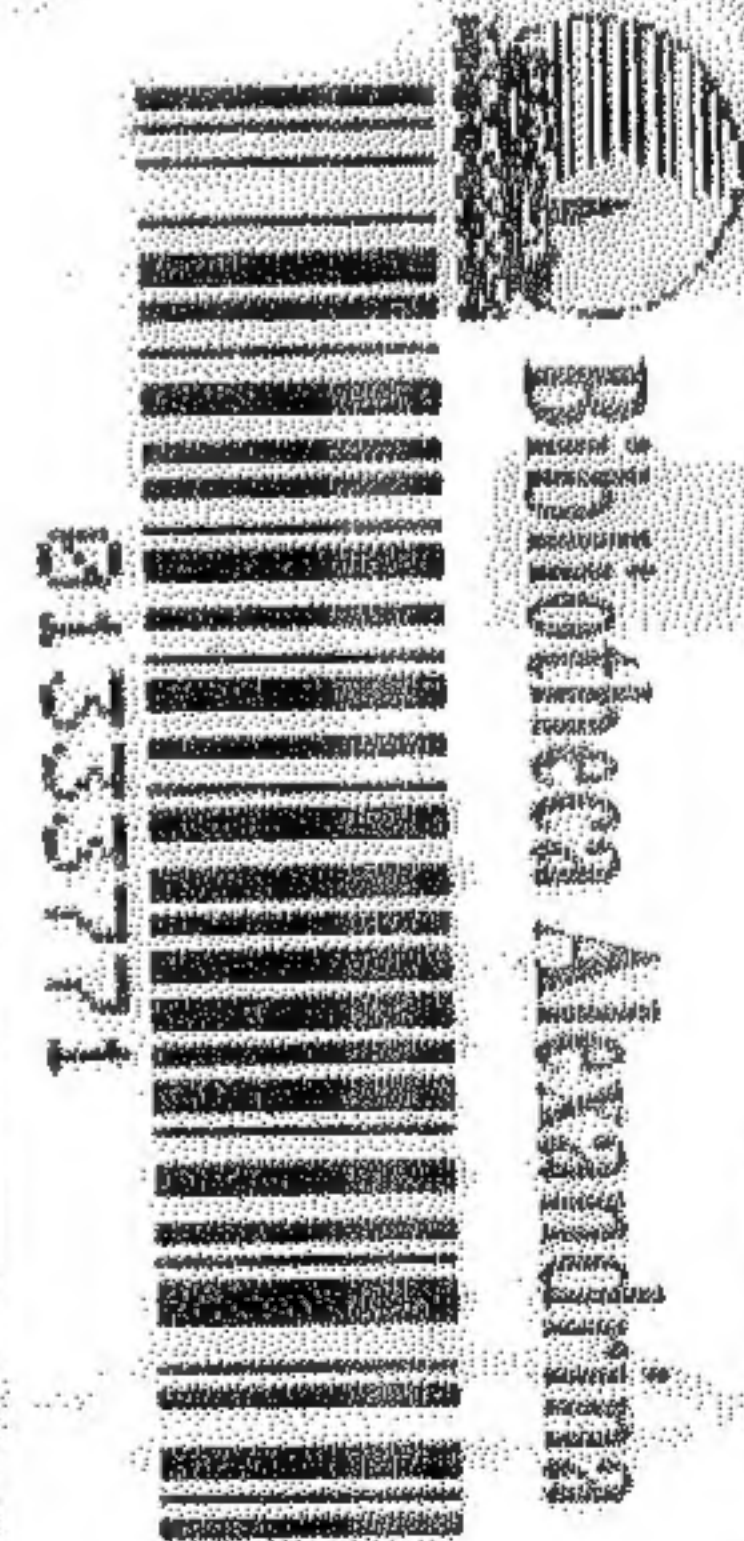


حاشية رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

شرح وتعليق
الشيخ طه عبد الله العفيفي



مَا يَرْثِي سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الناشر : الدار المصرية اللبنانية

١٦ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

تليفون : ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣

فاكس : ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً : دار شادو

ص . ب : ٢٠٢٢ - القاهرة

رقم الإيداع : ٩٣ / ٥٥٠٠

الترقيم الدولى : 3-091-270-977

جمع : ار - تك

العنوان : ٤ ش بني كعب - متفرع من السودان

تليفون : ٣١٤٣٦٣٢

طبع : المطبعة الغنية

العنوان : ٢٢ شارع الشقفاتية - متفرع من الساحة - عابدين .

تليفون : ٣٩١١٨٦٢

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الاولى : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية : ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

تصميم الغلاف : صالح وحيد

حَيْرَانُ سِرِّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

طبعة مزيّة ومنقحة

شرح وتعليق
الشيخ طه عبد الله العفيفي

الناشر
دار الكتب والوثائق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(الإسراء: ٨٥)

...

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحِظِّ وَافٍ».

(من حديث رواه أبو داود والترمذي وله اللفظ)

الإهداء

إلى جميع الإخوة الباحثين عن الميراث الحقيقي الذى يُغنيهم ويسعدهم
فى دنياهم وأخراهم.

أقدم: (ميراث رسول الله ﷺ).

وكُلِّى أمل فى أن يكون ميراثنا لنا ولأبنائنا وأحفادنا جميعاً إلى يوم
الدين... بل وزاداً ننتفع به إن شاء الله تعالى عند الله رب العالمين.

المؤلف

مقدمة الطبعة الثانية

أخي المسلم / أختي المسلمة:

فإنه لمن دواعي الفخر، والتحدث بنعمة الله تبارك وتعالى.. (أنه) بعد أن صدرت الطبعة الأولى من كتاب الفقير، وهو: (ميراث رسول الله ﷺ) الذي كان له أثره الطيب في قلوب الإخوة المؤمنين الذين انتفعوا به ونفعوا.. والذين استطاعوا بما فيه من علم مفيد أن يفوزوا بميراث رسول الله ﷺ الذي كانوا يجهلون حقيقته.. كما كانوا يجهلون أنه الميراث الحقيقي الذي من الممكن أن يستغنوا به عن كل ميراث آخر من تلك الموارد الدنيوية التي كانت ولا تزال سبباً في جميع الخلافات والإختلافات العامة والخاصة بين المسلمين.. بتلك الصورة التي أدت إلى تمزيق وحدتهم وضياح هيبتهم.. حتى أصبحوا بسبب كل هذا وغيره - من الأهواء النفسية - في مؤخرة الصفوف الحضارية التي كانوا في يومٍ ما في مقدمتها.. أو في قمته.. كما أشار النبي ﷺ إلى هذا في أحاديثه الشريفة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ»^(١)، ولكن أخشى عليكم التعمد»^(٢). رواه أحمد، ورواه محتج بهم في الصحيح، وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(١) فقد ورد في الحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه).

(٢) لأن الله تبارك وتعالى يقول: (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم..). الأحزاب: من الآية ٥.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «إِن مِّمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا». رواه البخاري ومسلم في حديث.. وكذلك رواه ابن أبي حاتم، قال: أنبأنا يونس، أخبرني ابن وهب، أخبرني مالك عن زيد أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ، قال: «إِن أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يَفْتَحُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، قالوا: وما زهرة الدنيا؟ قال: (بركات الأرض):

(ومعنى) زهرة الدنيا: أى زينة الحياة الدنيا.. وزينتها:

أى: ما يكون فيها من الشهوات الدنيوية.. التى زينها الشيطان لهم. ولهذا، فإن النبى ﷺ كان يُزهد أصحابه فى هذه الدنيا - حتى لا يُشغَلوا بها عن الآخرة - فيقول:

«مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ^(١) أَضُرَّ بِآخِرَتِهِ^(٢)، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضُرَّ بِدُنْيَاهُ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى». رواه أحمد ورواته ثقات، والبخاري وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى فى الزهد وغيره، كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبى موسى الحاكم: صحيح على شرطهما. (فأثروا ما يبقى على ما يفنى): أى اختاروا الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، فإن العاقل لابد أن يؤثر الدائم الباقي من اللذات على القليل المتقطع منها، قال تعالى: ﴿بَلْ تَوَثُّوْنَ حَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى^(٣)﴾.

وعن المستوليد أخى بنى فهر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

(١) أى: مال إليها وتعلق بها وأكب على جمعها وتخصيلها.

(٢) أى: نقص حظه منها لأن الدنيا شغلته عن العمل لها.

(٣) سورة الأعلى: ١٦، ١٧.

الدنيا في الآخرة^(١) إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم^(٢)،
وأشار يحيى بن يحيى بالسبابة، فليُنظر بِم يرجع؟، رواه مسلم.

أى: فليُنظر ماذا يكون على أصبعه من ماء البحر إذا أخرجها، والمراد أنها
لأتساوى شيئاً.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكرُ الله وما والاه، وعالم أو مُتعلم،
رواه ابن ماجه والبيهقى والترمذى، وقال حديث حسن.

والمراد بالدنيا: أى: كل ما يُشغل عن الله تعالى ويبعد عنه، ومعنى
لَعَنَهُ: بَعَدَهُ عن نظره تعالى وعن القبول عنده.. (وقد قيل: إن الاستثناء فى
قوله: ﴿إلا ذكر الله﴾ منقطع لأن ذكر الله.. الخ ليس من الدنيا.. (وقيل)
يَحْتَمِلُ أن يراد به العالم السفلى كله، وكل ما له نصيب فى القبول عنده
تعالى قد استثنى بقوله: ﴿إلا ذكر الله﴾ الخ.. وعلى هذا، فإن الإستثناء متصل..
(والمولاة): يَحْتَمِلُ أن تكون بمعنى المحبة، يعنى إلا ذكر الله وما أحبه الله تعالى
مما يجرى فى الدنيا، وأن تكون بمعنى المتابعة.. فالمعنى: ما يجرى على موافقة
أمره تعالى ونهيه... وقيل: الهاء فى قوله: (والاه) عائدة على الذكر، والمراد بما
والاه أى جانسه وقاربه.. ولا شك أن طاعته تعالى، واتباع أمره، واجتناب نهيه
كلها داخله فيما يوافق ذكر الله تعالى.

وعن أبي مالك الأشعرى رضى الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: يا معشر
الأشعريين ليبلغ الشاهد الغائب، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حُلوة
الدنيا مرة الآخرة، ومرة الدنيا حُلوة الآخرة، رواه الحاكم، وقال: صحيح
الإسناد.. وقال شارح الجامع: إسناده صحيح.

(١) يعنى إذا قيسَت بها ونسبت إليها.

(٢) يعنى البحر.

قال فى شرح الجامع الصغير: (قال المناوى: يعنى لا تجتمع الرغبة فيها والرغبة فى الله والآخرة، ولا تسكن هاتان الرغبةتان فى محل واحد، ولهذا قال روح الله عيسى: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة فى قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار فى إناء واحد).

ويحتمل أن يكون المراد بحلوة الدنيا ما تشتهيه النفس فى الدنيا مرة، أى: يعاقب عليه فى الآخرة، ومرة الدنيا ما يشق عليها من الطاعات، حلوة الآخرة أى يثاب عليه فى الآخرة).

ولم يكن النبى ﷺ يزهد أصحابه فى الدنيا بأقواله فحسب.. وإنما كان قدوة حسنة لهم فى هذا :

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: « توفى رسول الله ﷺ، وليس عندى شىء يأكله ذو كبد^(١) إلا شَطْرَ شَعِيرٍ^(٢) فى رَقٍّ لى^(٣) فأكلتُ منه حتى طال عَلى^(٤)، فَكِلْتَهُ فَفَنِي^(٥) » رواه البخارى ومسلم والترمذى.

وهذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ: فإن هذا الشطر من الشعير بَقِيََ عند عائشة رضى الله عنها تأخذ منه ولا ينقص، ولو أنها لم تَكِلْهُ ولم تتحدث به لكفاها آخر الأبد.. ببركة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

وعن عمرو بن الحرث رضى الله عنه قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته

(١) أى: حيوان ذو روح إنسانًا كان أو غيره.

(٢) قيل: هو نصف مكوك، وقيل: نصف وسق..

(٣) أى: وعاء من جلد، وفى رواية (رف) بالفاء ولعلها أصح.

(٤) أى: مكث عندى مدة طويلة دون أن ينفد.

(٥) يعنى لما قدرته وأحصته فنى ونفد.

درهما ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمةً، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها^(١) وسلاحه، وأرضاً لابن السبيل صدقة. رواه البخارى .

وعن على بن رباح قال: سمعت عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول: لقد أصبحت وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون فى الدنيا، وكان رسول الله ﷺ يزهد فيها، والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلا كان الذى عليه أكثر من الذى له^(٢)، قال: فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: قد رأينا رسول الله ﷺ يستسلف^(٣). رواه أحمد ورواته رواة الصحيح، والحاكم إلا أنه قال: ما مر به ثلاث من دهره إلا والذى عليه أكثر من الذى له، وقال: صحيح على شرطهما. ورواه ابن حبان فى صحيحه مختصراً:

كان نبيكم ﷺ أزهد الناس فى الدنيا، وأصبحتم أرغب الناس فيها.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: توفى رسول الله ﷺ: ودرع^(٤) مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير^(٥). رواه البخارى ومسلم والترمذى.

أقول: بعد أن صدرت الطبعة الأولى، من: (ميراث رسول الله ﷺ)، ثم نفذت منذ أكثر من عشر سنوات.. كتب إلى كثير من الإخوة المؤمنين فى مشارق

(١) وهى التى أهداها له المقوقس أمير القبط فى مصر، وكانت تسمى دلدل.

(٢) أى: ما مرت عليه ليلة واحدة من أيام عمره إلا كان الذى عليه من الديون التى كان يقترضها لصالح الفقراء والمساكين أكثر من الذى له.

(٣) استسلف المال: أى اقترضه.. بلا فائدة لصالح - المقرض..

(٤) الدرع: قميص من زرد الحديد تلبس وقاية من سلاح العدو وهى مؤنثة وقد تذكر.

(٥) أى: على هذا القدر من الشعير اقترضه منه عليه السلام ودفع له درعه ضماناً للوفاء.

الأرض ومغاربها.. بالإضافة إلى مَنْ ألتقى بهم منهم فى لقاءاتى الدينية.. يطلبون منى ضرورة أن أُعجل بإصدار طبعة ثانية من هذا الكتاب المبارك الذى وجدوا فيه ضالتهم من العلم النافع المتعلق بالمساجد وتعميرها، والصلاة وأدائها، والقرآن وما يرتبط به وبقراءته من آثار وأخبار، وكذلك ما يتعلق بموضوع الحلال والحرام الذى يجهله الكثيرون.. من هؤلاء الذين لا صلة لهم بمجالس العلم النافع:

ولولا العلم ما سَعِدَتْ نفوس

ولا عُرِفَ الحلال من الحرام

** ولهذا، فقد رأيت.. بعد أن استخرت الله تعالى.. أن أقوم بإصدار الطبعة الثانية من الميراث المحمدى.. بعد أن قمت بتزويده وتنقيحه.. بتلك الصورة الجديدة التى سيفرح بها الأخ المسلم والأخت المسلمة فرحاً كبيراً... أرجو أن يكون سبباً فى أن يدعوا لى.. بالتوفيق والشفاء.. بل وطول البقاء.. حتى أستطيع أن أواصل نشر هذا العلم النافع الذى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله منى، وأن يجعله فى صحيفة حسناتى.. وحسنات كل من تعاونوا معى على نشره، والحرص على تعليم الناس منه.

هذا، وإذا كان لى أن أقول شيئاً فى ختام هذا التقديم الهام.. فإننى أقدم الشكر للإخوة الفضلاء أصحاب (الدار المصرية اللبنانية) الذين أسهموا مساهمة كبيرة وفعّالة فى تجهيز هذا الكتاب وإخراجه.. كما وعدوا بالمساهمة كذلك فى نشر هذا العلم النافع فى كل مكان على وجه الأرض.. فالله أسأل أن يبارك لنا فيهم.. وأن يجزيهم عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.. والله ولى التوفيق.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طه عبد الله العفيفي

أول المحرم ١٤١٤ هـ

٢١ يونيو ١٩٩٣ م

تمهيد

أيها الأخ المسلم.. لعلك عندما قرأت عنوان هذا الكتاب الذى بين يديك، وهو: (ميراث رسول الله ﷺ).

تساءلت بينك وبين نفسك: هل ترك الرسول ﷺ ميراثاً دنيوياً؟
فإذا كان هذا هو تساؤلك، فإننى أرى أن أجيبك أولاً وسريعاً بهذا المضمون الذى جاء فيه^(١):

أن النبی ﷺ، مات ولم يترك درهماً ولا ديناراً، بل ترك درعة مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعاً من الشعير.
وقد ورد ذلك فى أحاديث منها:

حديث عمرو بن الحارث، قال: «ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة إلا بغلته البيضاء التى كان يركبها وسلاحه وأرضاً جعلها لابن السبيل صدقة».

(أخرجه البخارى والنسائى والترمذى فى الشمائل)^(٢).

وحديث عائشة، قالت: «ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بغيراً ولا أوصى بشيء».

(أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى)^(٣).

(١) كما جاء فى الدين الخالص ج ٧ تحت عنوان: (ما تركه النبی ﷺ) ص ١٧٧.

(٢) انظر ص ١٠٥ ج ٨ فتح البارى، ص ٢٥٣ شمائل.

(٣) انظر ص ٨٩ ج ١ نووى، ص ٧١ ج ٣ عون المعبود.

وحديث ابراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد عن عائشة رضى الله عنها قالت: «توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين - يعنى صاعاً - من شعير».

(أخرجه البخارى) (١).

وحديث عائشة، قالت: «توفي رسول الله ﷺ، وما فى بيتى شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير» (٢) فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى، (أخرجه الشيخان) (٣).

وحديث ابن شهاب، قال: «أخبرنى عروة أن عائشة قالت: كانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خير وفدك وصدقته بالمدينة» (٤).

(١) انظر ص ١٠٧ ج ٨ فتح البارى.

(٢) قيل: كان نصف وسق، وقيل: نصف مكوك وهو أحد عشر رطلا وربع رطل.

(٣) انظر ص ١٢٨ ج ٦ فتح البارى.

(٤) أما خير (فقد قال سهل بن أبى حثمة: قسم رسول الله ﷺ خير نصفين: نصفاً لنوائبه وحاجته، ونصفاً بين المسلمين. قسمها. بينهم على ثمانية عشر سهماً. أخرجه أبو داود بسند صحيح. انظر ص ١١٩ ج ٣ عون المعبود (حكم أرض خير). وأما فدك - بفتحات - وهى بلد بين المدينة وخير على ثلاث مراحل من المدينة - فإن أهلها لما بلغهم فتح خير طلبوا من النبي ﷺ الأمان على أن يتركوا البلد ويرحلوا فأجابهم. فكانت فدك فيما له خاصة لأنها فتحت بلا إيجاب خيل.. وأما صدقته ﷺ بالمدينة، فهى المشار إليها فى قول الله تعالى: ﴿ ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ (٥) يقول بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوى حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما. وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التى فى أيدي بنى فاطمة رضى الله عنها. أخرجه أبو داود انظر ص ١١٦ ج ٣ عون المعبود (خير بنى النضير).

(٥) الحشر: من الآية ٦.

فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال: «لست تاركاً شيئاً، كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به. إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره إن أزيغ. فأما صدقته بالمدينة فدفعتها عمر إلى علي وعباس. وأما خبير وفدك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله ﷺ، كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر». قال: فهما على ذلك إلى اليوم. (أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي) (١).

وحديث عائشة رضي الله عنها، أن أزواج النبي ﷺ أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر في ميراثهن. فقالت عائشة: «أليس قد قال النبي ﷺ: لا نورث ما تركنا فهو صدقة،

(أخرجه مالك والشيخان وأبو داود) (٢).

وحديث أبي هريرة، قال: «جاءت فاطمة إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالت: من يرثك؟ فقال: أهلي وولدي. فقالت: مالي لا أرث أبي؟ فقال أبو بكر: سمعت النبي ﷺ، يقول: لا نورث. ولكني أعول من كان النبي ﷺ يعوله، وأنفق على من كان النبي ﷺ ينفق،».

(أخرجه الترمذي في الشمائل) (٣).

ثم يقول في الدين الخالص بعد ذلك:

هذا.. والحكمة في أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يُورثون أنهم خزان الله. والخازن لا يملك إلا قوته. وغيرهم مُرتزقون. فمن أعطى رزقاً ملكه، فإذا

(١) انظر ص ١٢٣ ج ٦ فتح الباري.

(٢) انظر ص ٥ ج ١٢ فتح الباري.

(٣) انظر ص ٢٥٤ المواهب اللدنية.

مات الخازن لم ترثه ورثته لعدم قيامهم مقامه إلا أن يكون من خلفه نبي فهو أمين الله بعد والده.

وقيل: الحكمة في ذلك أنه لا يؤمن أن يكون في الورثة من يتمنى موت النبي فيهلك. ولئلا يظن بالأنبياء الرغبة في الدنيا لورثتهم فيهلك الظان^(١).

وقيل: لأن النبي ﷺ كالأب لأمته فيكون ميراثه للجميع. وهذا معنى الصدقة العامة. ووجهه أن الله تعالى بعث الأنبياء مبلغين رسالته وأمرهم ألا يأخذوا على ذلك أجراً، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾^(٢).

وقال نوح وهود وغيرهما نحو ذلك، فكانت الحكمة في ألا يورثوا لئلا يظن أنهم جمعوا المال لورثتهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ﴾^(٣) محمول على العلم والحكمة، وكذا قول زكريا: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا - يَرْثُنِي ﴾^(٤)؛ وبهذا، قال الأئمة الأربعة والجمهور ويؤيده ما روى سفيان بن عيينة عن أبي الزناد أن النبي ﷺ قال: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة».

(أخرجه النسائي، وأخرجه الدارقطني في العلل من رواية أم هانئ عن فاطمة الزهراء عن أبي بكر الصديق، بلفظ: «إن الأنبياء لا يورثون»^(٥)).

ومن كل هذا، نفهم جميعاً، بل ويتأكد لنا، أن النبي ﷺ، لم يترك ميراثاً

(١) انظر ص ٧٢ ج ١٢ نووي (حكم الفیء).

(٢) الشوری: الآية ٢٣.

(٣) النمل: من الآية ١٦.

(٤) مريم من الآيتين ٥، ٦.

(٥) انظر ص ٦ ج ١٢ فتح الباری.

دنيوياً يُذكر، وإنما ترك ميراثاً أخروياً، لكل فرد من أفراد أُمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا هو موضوعنا في هذا الكتاب الذى سندور فيه حول هذا الميراث المحمدى الذى كلنا وبدون استثناء فى أشد الحاجة إليه حتى نسعد فى دنيانا وآخرانا.

وقد يسأل الأخ المسلم الآن وبعد هذا التمهيد: إذن.. فما هو هذا الميراث الذى تركه رسول الله ﷺ؟.

فيكون الجواب على سؤاله هذا، هو هذا النص الآتى:

ميراث رسول الله ﷺ

روى عن أبى هريرة أنه مر ذات يوم بسوق المدينة - وقد هاله انشغال الناس فى الدنيا - فوقف عليها، فقال: يا أهل المدينة ما أعجزكم!!

قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقسَّم وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟..

قالوا: وأين هو؟ قال: فى المسجد.

فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم مالكم؟

قالوا: يا أبا هريرة.. فقد أتينا المسجد فدخلنا فلم نر فيه شيئاً يقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم فى المسجد أحداً؟

قالوا: بلى.. رأينا قوماً يُصلون، وقوماً يقرأون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام.

فقال لهم أبو هريرة: ويحكم.. فذاك ميراثُ محمد ﷺ!!.

(مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج ١ ، رواه الطبراني في معجمه الأوسط، وإسناده حسن).

وهذا النص بهذا الحوار الجيد.. يشير إلى ملاحظة هامة: وهى أن أبا هريرة رضى الله عنه أراد أن يلفت قلوب إخوانه من الأصحاب إلى أن ما يتكالبون عليه من حطام الدنيا لا وزن له عند الله تبارك وتعالى إذا لم يكن مصحوباً بالأعمال الصالحة التى بها سيجدون النعيم الدائم فى جنة الخلد التى وعد الله بها عباده الصالحين.. كما قال تعالى مشيراً إلى هذا:

﴿ إِن الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا. خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ ﴾ : فكان ما كان من أمر هذا التوجيه الإيجابى الذى كان فى صورة هذا الحوار.. الذى كان سبباً فى إسرائهم إلى المسجد حتى يحصلوا على شىء من هذا الميراث الذى تصوره متاعاً دنيوياً.. وكان أيضاً ما كان من أمر هذا الدرس العظيم الذى أرجو أن نستفيد به، وهو:

درس لابد وأن نستفيد من أبى هريرة رضى الله عنه

أن أبا هريرة رضى الله عنه، كان تلميذاً نجيباً من تلاميذ الرسول ﷺ. فلما تخرج من مدرسته ﷺ، كان بعد ذلك أستاذاً يقتدى به، ويستفاد بعلمه.

وهو هنا فى هذا الحوار الذى دار بينه وبين التجار فى السوق، يعلمنا كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى، وكيف يكون الوعظ بالحكمة والموعظة الحسنة.

وما أحوجنا جميعاً - نحن الوعاظ بصفة خاصة - إلى أن نتعلم من أبى هريرة رضى الله عنه هذا الدرس المستفاد، الذى لو طبقناه، لانتشر العلم النافع فى كل

مكان، ولكن الإقبال على مجالسه أكثر بكثير من هذا الإقبال الذى نراه فى زماننا هذا.

ثم كان المسجد هو المكان الطبيعى لهذا الميراث المحمدى، كما جاء فى حوار أبى هريرة رضى الله عنه، وبدليل ما جاء فى حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه:

«... ومن سلك طريقاً يلتمس^(١) فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه^(٢) بينهم إلا حفتهم^(٣) الملائكة، ونزلت عليهم السكينة^(٤) وغشيتهم^(٥) الرحمة وذكرهم الله فى من عنده^(٦)» (من حديث صحيح).
رواه مسلم : فإننى أذكر الأخ المسلم.. بهذه:

الآداب المتعلقة بالمسجد

والتى منها، أنه:

ينبغى أو يسن الدعاء حين التوجه إلى المسجد بما جاء فى نص الأحاديث الآتية:

(١) أى يطلب.

(٢) أى يتفهمون معانيه ويتدبرون مقاصده.

(٣) أى أحاطت بهم وقعدت حولهم.

(٤) أى غطتهم وغمرتهم.

(٥) أى الأمن والطمأنينة.

(٦) أى الملائكة.

قالت أم سلمة: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته، قال «بسم الله»^(١) توكلتُ على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضلُّ أو أضلَّ، أو أذلُّ أو أذلَّ، أو أظلمُّ أو أظلم، أو أجهلُّ أو يُجهل عليَّ.

(رواه أصحاب السنن وصححه الترمذی)

وروى أصحاب السنن الثلاثة وحسنه الترمذی. عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذا خرج من بيته: بسم الله، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: حسبك.. هديت، وكُفيت ووقيت، وتَنَحَّى عنه الشيطان».

وروى البخارى ومسلم، عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى الصلاة، وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصرى نوراً، وفي سمعى نوراً، وعن يمينى نوراً، وخلفى نوراً، وفي عصبى نوراً، وفي لحمى نوراً، وفي دمي نوراً، وفي شعرى نوراً، وفي بشرى نوراً».

وفي رواية لمسلم: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل لى في سمعى نوراً، وفي بصرى نوراً، واجعل من خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً، واجعل من فوقى نوراً، ومن تحتى نوراً، اللهم أعطنى نوراً».

ويُسن لمن أراد دخول المسجد أن يدخل برجله اليمنى، ويقول: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم. بسم الله.. اللهم صل على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك».

وإذا أراد الخروج خرج برجله اليسرى، ويقول: «بسم الله.. اللهم صل

(١) يجوز الدعاء بهذا سواء كنت خارجاً إلى المسجد أو إلى غير المسجد.

على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك، اللهم اعصمنى من الشيطان الرجيم.

وقد ورد فى هذا بعض الأحاديث التى منها:

حديث أنس أن النبى ﷺ كان إذا دخل المسجد، قال: «اللهم صل على محمد».

وإذا خرج، قال: «بسم الله.. اللهم صل على محمد» (أخرجه ابن السنى).

وحديث فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الزهراء، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد، قال: «بسم الله.. والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك». وإذا خرج قال: «بسم الله.. والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك».

(أخرجه أحمد وابن ماجه والطبرانى والترمذى^(١)، وقال: حديث حسن).

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ كان إذا دخل المسجد، قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم». وقال: فإذا قال ذلك قال الشيطان: حفظ منى سائر اليوم،

(أخرجه أبو داود بسند جيد)

(١) وأخرج ابن أبى شيبه والترمذى وابن ماجه بلفظ: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد يقول: (بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك) وأخرجه ابن مردويه فى كتاب الأدعية من حديث فاطمة، وزاد بعد قوله والصلاة والسلام على رسول الله: اللهم صل على محمد وآل محمد.

ويطلب ممن دخل المسجد غير الحرام^(١) ألا يجلس حتى يصلى ركعتين تحية المسجد:

فعن أبي قتادة أن النبي ﷺ، قال: «إذا جاء أحدكم المسجد فليصل سجدة^(٢) من قبل أن يجلس،

(أخرجه أحمد والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والبيهقى، وكذا الأثرم فى سننه، بلفظ:

«أعطوا المساجد حقها.. قالوا: وما حقها؟ قال: تصلوا ركعتين قبل أن تجلسوا،

(وأخرجه ابن ماجه عن أبي هريرة، بلفظ).

«إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين».

وأخرجه البيهقى فى السنن وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب، الايمان عن أبي هريرة، بلفظ:

«إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يركع ركعتين».

وإذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين، فإن الله جاعل له من ركعته فى بيته أجراً.

وأخرج ابن أبى شيبه فى مصنفه عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال:

«أعطوا المساجد حقها، ركعتان قبل أن تجلسوا».

قال فى الدين الخالص (ج ٣): وهذه الأحاديث تدل على مشروعية تحية المسجد فى كل وقت حتى وقت خطبة الجمعة، وبه قال الشافعية، وابن عيينة،

(١) لأن تحية المسجد الحرام: هى الطواف حول الكعبة.

(٢) أى ركعتين.

وابن المنذر، وداود، واسحاق بن راهويه، والحسن البصري، لعموم هذه الأحاديث.

ولحديث جابر بن عبد الله، قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب، فجلس، فقال له: «يا سليك.. قم فاركع ركعتين وتجاوز^(١) فيهما». ثم قال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجاوز فيهما، أخرجہ الشيخان وكذا الطبراني في الكبير بلفظ:

«صل ركعتين تجوز فيهما. وإذا جاء أحدكم والإمام يخطب يوم الجمعة فليصل ركعتين وليخففهما».

وقالت الحنابلة: تسن وقت الخطبة، وتحرم في أوقات النهي^(٢) ولا تنعقد.

وقال الحنفيون، وابن سيرين، وعطاء بن أبي رباح، والليث، وشريح، والأوزاعي: تكره تحية المسجد في أوقات النهي وحال خطبة الجمعة.

وقالت المالكية: تكره بعد صلاة الصبح والعصر، وتحرم حال الخطبة ووقت طلوع الشمس وغروبها^(٣).

كما يقول أيضاً في الدين الخالص^(٤): ولا تفوت التحية بالجلوس ولو طال عند الحنفية والمالكية، لما تقدم أن النبي ﷺ أمر سليماً بالصلاة بعد جلوسه.

(١) أي يخففهما.

(٢) وهي الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس.. باستثناء ما له سبب من الصلوات.

(٣) ارجع إلى هذا الموضوع بالتفصيل في الدين الخالص ج ٣ ص ٢٨٦ وكتب الفقه المطولة.

(٤) ج ٣ بتصرف ص ٢٨٦.

ولحديث أبي ذر أنه دخل المسجد، فقال له النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أركعت ركعتين؟ قال: لا. قال: «قم فأركعهما،

(أخرجه ابن حبان)

وقالت الشافعية: لا تفوت بالجلوس سهواً أو نسياناً. وتفوت بالجلوس عمداً ولو قصر ولا يشرع قضاءؤها، (ورده) الحافظ ابن حجر بحديث أبي ذر وقصة سليك، ثم قال: ويحتمل أن يحمل مشروعيتها بعد الجلوس على ما إذا لم يطل الفصل أ هـ.

وقالت الحنابلة: لا تفوت إلا بالجلوس الطويل.

وتكرر بتكرر دخول المسجد عند الشافعية، لظاهر الأحاديث.

وقالت الحنفية: لا تتكرر بتكرر الدخول، بل يكفيه ركعتان لها في اليوم.

وقالت المالكية: إن رجع عن قرب كفته الأولى وإلا كررها.

وقالت الحنابلة: تسن تحية المسجد لكل داخل في غير وقت النهي قبل أن يجلس إذا كان متطهراً. وتتكرر بتكرر الدخول لغير مقيم بالمسجد تكرر دخوله، وغير داخل لصلاة العيد فيه لعذر كمطر، وغير خطيب دخل للخطبة، لأن المطلوب منه أن يصعد المنبر عند دخوله اقتداء بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ثم بعد ذلك يشير في الدين الخالص إلى بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بتحية المسجد: فيقول:

قال في الهدى: كان من هدى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الداخل إلى المسجد يبتدىء بركعتين تحية للمسجد ثم يسلم على القوم. فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله، فإن تلك حق الله تعالى، والسلام على الخلق حق لهم، وحق الله تعالى في مثل هذا أحق بالتقديم، بخلاف الحقوق المالية فإن فيها

نزاعاً معروفاً عند الفقهاء، وكانت عادة القوم معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هكذا: يدخل المسجد فيصلى ركعتين ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

ففى حديث رفاعه بن رافع أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بينما هو جالس فى المسجد يوماً ونحن معه إذ جاءه رجل كالبدوى فصلى فأخف صلاته، ثم انصرف فسلم على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وعليك السلام.. أرجع فصل فإنك لم تصل،

(أخرجه مالك، وأحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه).

فأنكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاته ولم ينكر عليه تأخير السلام عليه بعد الصلاة.

وعلى هذا.. فيسن لداخل المسجد إذا كان فيه جماعة ثلاث تحيات مرتبة: أن يقول عند دخوله: «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله»، ثم يصل ركعتين تحية للمسجد، ثم يسلم على القوم أھ بتصرف.

ما تقدم من طلب صلاة تحية المسجد إنما هو فى غير المسجد الحرام، أما هو^(١) فتحيته الطواف، إلا لمن أراد الجلوس قبل الطواف، فإنه يشرع له أن يصل تحية المسجد.

يسن للقادم من سفر أن يبدأ بالمسجد فيصلى به ركعتين، لقول كعب بن مالك: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين.

(أخرجه الشيخان)

(١) أى المسجد الحرام.

ولقول جابر: كنت مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الغزاة واشترى مني جملاً بأوقية ثم قدم قبلي، وقدمت بغداتي فوجدته على باب المسجد، قال: «الآن قدمت، ؟ قلت: نعم.. قال: «فادخل فصل ركعتين».

(أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي)

وينبغي لمن يدخل المسجد لصلاة أو غيرها أن ينوي الإعتكاف مدة إقامته في المسجد حتى يفوز بثواب هذا الإعتكاف الجزئي الذي إن قبله الله تعالى منه كان ثِقْلاً في ميزانه يوم القيامة.

هذا.. وإذا كنت قد أشرت إلى بعض الآداب المتعلقة بالمسجد، فإنني أرى كذلك إتماماً للفائدة أن أذكرك ببعض:

المكروهات المتعلقة بالمسجد

والتي منها، أنه:

يكره تشبيك الأصابع عند الخروج إلى الصلاة، وفي المسجد عند انتظارها، ولا يكره فيما عدا ذلك، ولو كان في المسجد:

فمن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبك بين أصابعه فإنه في صلاة،

(رواه أحمد، وأبو داود والترمذي)

وعن أبي سعيد الخدري، قال: دخلت المسجد مع رسول الله ﷺ، فإذا رجل جالس وسط المسجد محتبياً مشبكاً أصابعه بعضها على بعض فأشار إليه رسول الله ﷺ فلم يفتن لإشارته. فالتفت رسول الله ﷺ، فقال: «إذا كان أحدكم في المسجد فلا يشبك فإن التشبيك من الشيطان»^(١)، وإن أحدكم لا يزال

(١) ولأنه يجلب النوم وهو من مظان الحدث.

فى صلاة ما كان فى المسجد حتى ىخرج منه. .

(رواه أحمد)

وىكره لمن به بَخَر وضِئان قوى دخول المسجد وحضور الجماعات. لما ىترتب على ذلك من إىذاء الناس والملائكة، بل ىنبغى أن ىحرم، لقوله عليه الصلاة والسلام: «فإن الملائكة تتأذى مما ىتأذى منه بنو آدم. .

(أخرجه الشىخان من حدیث جابر)

ولهذا.. فإنه ىلزم صيانة المسجد عن الروائح الكرىهة^(١)، فىحرم، على من تناول ذا رائحة كرىهة كثوم وبصل دخول المسجد قبل إزالتها:

لحدیث جابر أن النبى ﷺ، قال: «من أكل الثوم والبصل والكراث، فلا ىقرىن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما ىتأذى منه بنو آدم. .

(أخرجه الشىخان)

وكذا أحمد بلفظ: «من أكل ثوماً أو بصلاً فلىعتزلنا. .

أو قال: «فلىعتزل مسجدنا ولىقعد فى بىته. .

(وأخرجه النسائى والترمذى)

والمراد: تناول ما ذكر وهو نىء لأنه ذو الرائحة الخبىثة المؤذية، بخلاف ما إذا كان مطبوخاً فلا ىشملة النهى، لذهاب تلك الرائحة منه.

ولقول على رضى الله عنه: «نهى عن أكل الثوم إلا مطبوخاً. .

(١) بل على العكس من ذلك فإنه ىسن لمن أراد دخول المسجد بصفة خاصة أن ىطىب بعد أن ىتطهر حتى لا ىكون منفراً لغيره من المصلین.

ولحديث معاوية بن قرة عن أبيه أن النبي ﷺ نهى عن هاتين الشجرتين -
يعنى الثوم والبصل - وقال: «من أكلهما فلا يقربن مسجدا».

وقال: «إن كنتم لابد آكليهما فأنضجوهما طبخاً».

(أخرجهما أبو داود)

وقد خطب عمر يوم الجمعة فقال فى خطبته: ثم انكم أيها الناس تأكلون من
شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: البصل والثوم. لقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم إذا وجد ريحهما من الرجل فى المسجد، أمر به فأخرج إلى
البيقع^(١). فمن أكلهما فليمتهما طبخاً^(٢).

(أخرجه أحمد ومسلم والنسائي)

والنهي هذا، عام فى كل المساجد والجامع، والمعنى: فلا يقربن مساجد
المسلمين. (ويؤيده) حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم،
قال:

«من أكل من هذه الشجرة فلا يأتين المساجد».

(أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود)

ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ماله رائحة كريهة كالفجل إذا كان آكله
يتجشأ، ومن به بخر^(٣) أو جرح له رائحة.

ويلحق به كذلك الدخان.. فإن شاربها كما هو معلوم لنا تنبعث من فمه رائحة
كريهة منفرة.

(١) وهى مدافن المدينة المنورة.

(٢) أى لذهاب قوته وحدته.

(٣) البخر بفتح الحاء: الرائحة الكريهة تخرج من الفم.

هذا مع ملاحظة: أن أكل هذه الأشياء مباح إلا أنه يتحتم على من أكلها البعد عن المسجد ومنجتمعات الناس حتى تذهب رائحتها. أما شرب الدخان، وما إلى ذلك من المسكرات والمفترات، فهو حرام لأنه مضر بالصحة ومتلف للمال، والله تعالى يقول: ﴿ .. وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(١) ويقول: ﴿ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾^(٢).

ويكره إخراج الريح في المسجد اختياراً، صوناً له عن الرائحة الكريهة، ولما يترتب عليه من إيذاء من في المسجد:

ولحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَصَلَاةِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يَحْدَثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ».

(أخرجه الشيخان، وأبو داود والنسائي، وكذا ابن ماجه من حديث أبي صالح:

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَحْدَثْ فِيهِ، مَا لَمْ يُوْذَ فِيهِ».

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) الإسراء: ٢٦، ٢٧.

وقد أفنى أحد العلماء العاملين - عليه رحمة الله - بأن شارب الدخان يعتبر منتحراً.. لأنه يقتل نفسه قتلاً بطيئاً.. ثم قال بعد ذلك: لو ثبت بعد موته أنه مات بسبب شرب الدخان.. فإنه سيكون قد مات كافراً (والعياذ بالله) .. والله أعلم.

ولحديث أبي رافع عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: قال: «لا يزال العبد في صلاة مادام في مصلاه ينتظر الصلاة، تقول الملائكة: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. حتى ينصرف أو يحدث، فقل: وما يحدث؟ قال: «يفسو، أو يضطرب».

(أخرجه مسلم وأبو داود)

ويكره تحريماً^(١) رفع الصوت في المسجد بنشد الضالة.

لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد، فليقل: لا أداها الله إليك، فإن المساجد لم تبين لهذا».

(أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه)

ولا يجوز رفع الصوت في المسجد ولو بالقرآن والذكر:

لقول أبي سعيد الخدري: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر، وقال: «ألا أن كلكم مناج ربّه، فلا يؤذون بعضهم بعضاً، ولا يرفع بعضهم على بعض في القراءة».

(أخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والبيهقي، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين).

ويستثنى من ذلك درس العلم.

(١) المكروه تحريماً: ما كان إلى الجرام أقرب. والمكروه تنزيهاً هو ما كان إلى الحلال أقرب. فأرجو من الأخ المسلم أن يتجنب كل مكروه.. وأن لا يفعل إلا المستحبات الحسية والمعنوية...

وعلى هذا.. اتفقت كلمة الفقهاء، قال في الدر المختار:
يحرم في المسجد رفع الصوت بذكر إلا للمتفقهه أهـ.
وقال النووي: يجوز التحدث بالحديث المباح في المسجد وبأمر الدنيا وغيرها
من المباحات، وإن حصل فيه ضحك ونحوه مادام مباحاً:
لحديث جابر بن سمرة، قال: «كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه
الذي صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام».
قال: «وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم،
(أخرجه مسلم)
وقال النووي: ثبت أن أصحاب الصُّفَّة والعريين وعلياً وصفوان بن أمية
وجماعات من الصحابة كانوا ينامون في المسجد. وأن ثمامة كان يبيت فيه قبل
إسلامه. كل ذلك في زمن رسول الله ﷺ.
قال الشافعي في الأم: وإذا بات المشرك في المسجد فكذا المسلم.
وقال في المختصر: ولا بأس أن يبيت المشرك في كل مسجد إلا المسجد الحرام.
وقال عبد الله بن الحارث: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ في المسجد الخبز
واللحم. (رواه ابن ماجة بسند حسن).
ويكره لمن بالمسجد إسناد ظهره للقبلة، بل السنة أن يستقبلها في جلوسه^(١):
لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: «إن لكل شيء سيّداً، وإن سيّد
المجالس قبالة القبلة» (أخرجه الطبراني بسند حسن).
ولحديث ابن عمر أن النبي ﷺ، قال: «أكرم المجالس ما استقبل به
القبلة».

(أخرجه الطبراني في الأوسط وأخرجه هو وابن عدى عن ابن عباس).

(١) أي أن يتجه إليها بوجهه.

وعنه أن النبي ﷺ، قال: «أشرف المجالس ما استقبل به القبلة».

(أخرجه الطبراني)

ولا يجوز أخذ شيء من أجزاء المسجد كحجر وحصاة وتراب وغيرها، كالزيت والشمع الذي يسرج فيه:

لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: «إن الحصاة لتناشد^(١) الذي يُخرجها من المسجد».

(أخرجه أبو داود)

ولقول سعيد بن جبير: الحصاة تسب وتلعن من يُخرجها من المسجد.

وقول سليمان بن يسار: الحصاة إذا أخرجت من المسجد تصيح حتى ترد إلى موضعها.

قال في الدين الخالص: وفيما ذكر التنفير من إخراج الحصى من المسجد، ومحلّه في المساجد غير المفروشة، أما المفروشة فيطلب تنقيتها من الحصى ونحوه، لما يترتب على بقاءه فيها من تعفّيش المسجد وضرر المصلّى بالسجود عليها.

(١) أى تسأل وتقسم على من يخرجها من المسجد أن لا يخرجها منه لأنها لا تحب مفارقتها، لأنه محل العبادة والرحمة.

وإذا كانت الحصاة تفعل هذا لأنها لا تحب مفارقة المسجد.. فإننا نرجو أن نكون نحن كذلك أكثر حُبًّا للمسجد.. لأن المسجد هو بيت الله تعالى الذى يقول: «إن بيوتى فى الأرض المساجد وزوارى فيها عمارها، فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى، وحق على المزور أن يكرم زائره».

مع ملاحظة أنه ليس من الإسلام أن نقيم فى المسجد إقامة كاملة.. دون أن نخرج منه لأداء أعمالنا الدنيوية.. لأن هذا سيكون من التواكل الذى لا يقره الإسلام ولا يوافق عليه.

وقد ورد الترغيب في تنظيف المسجد:

فمن عائشة أن النبي ﷺ، أمر ببناء المساجد في الدور، وأمر بها أن تنظف وتطيب.

(رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان بسند جيد)

ولفظ أبي داود: «كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في دورنا، ونصلح صنعتها ونظهرها، وكان عبد الله يجر^(١) المسجد إذا قعد عمر على المنبر».

وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت على أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد».

(رواه أبو داود، والترمذي، وصححه ابن خزيمة)

ويكره تحريما إلقاء القمل ودفنه حيًّا في المسجد:

لحديث الحضرمي ابن لاحق عن رجل من الأنصار أن رسول الله ﷺ، قال: «إذا وجد أحدكم القملة في ثوبه فليصرها ولا يلقيها في المسجد».

(أخرجه أحمد بسند رجاله ثقات). وأخرجه البيهقي بلفظ:

«إذا وجد أحدكم القملة وهو يصلي فلا يقتلها، ولكن يصرها حتى يصلي».

قال في الدين الخالص ج ٣: (أما دفنه) في المسجد بعد قتله فلا بأس به لقول أبي مسلم: دخلت على أبي أمامة وهو يتفلي في المسجد ويدفن القمل في الحصى^(٢).

(١) أي مكان يطلق البخور في المسجد لانتشار الرائحة الذكية فيه.

(٢) الحديث أخرجه أحمد والطبراني بسند جيد.

ولقول مالك بن يخامر: رأيت معاذ بن جبل يقتل القمل والبراغيث فى المسجد^(١).

والآن أخوا الإسلام، وبعد أن وقفت على أهم المندوبات والمكروهات المتعلقة بالمسجد، والتى رأيت أن أوقفك عليها قبل أن تذهب إلى المسجد، حتى تكون على علم بها ومنفذاً لها، وحتى تكون أهلاً لميراث رسول الله ﷺ:

إليك الركن الأول من هذا الميراث - المشار إليه فى حوار أبى هريرة - وهو:

الصلاة

التى جعلها الله صلة بينه وبين عبده المؤمن، كما جعلها نوراً يسير المؤمن على هداه فى دنياه إلى آخره:

قال رسول الله ﷺ:

«الطهور^(٢) شطر^(٣) الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها»^(٤).

(رواه مسلم)

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات.

(٢) أى التطهر بضم الطاء، ويفتح الطاء ما يتطهر به من ماء أو تراب.

(٣) الشطر: هو النصف.

(٤) أى مهلكها.

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «من مشى فى ظلمة الليل إلى المساجد أتاه الله نوراً يوم القيامة».

(رواه ابن حبان باسناد حسن)

وعن أبي الدرداء - أيضاً - أن رسول الله ﷺ، قال: «من مشى فى ظلمة الليل إلى المسجد لقي الله عز وجل بنور يوم القيامة».

(رواه الطبرانى)

وحسب المؤمن أن يعلم أنه إذا خرج من بيته متوضئاً كان ذلك تطهيراً له، وكان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة^(١).

فمن عبد الله الصُّنَابِحِي رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ العبد فمضمض^(٢) خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر^(٣) خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظافر يديه، فإذا مسح برأسه، خرجت الخطايا من رأسه، حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظافر رجليه، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له».

(رواه مالك وأحمد والنسائى والحاكم. وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين. وليس له علة).

(١) أى زائدة.

(٢) أى فتمضمض.

(٣) أى أخرج الماء من أنفه بيده اليسرى.

وعن أنس رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الخلعة الصالحة تكون في الرجل يصلح الله بها عمله كله ويظهر الرجل لصلاته يكفر الله به ذنوبه»^(١) وتبقى صلاته له نافلة..

(أخرجه أبو يعلى)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «ألا أدلكم على ما يحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات،؟. قالوا: بلى يا رسول الله.. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره»^(٢)، وكثرة الخطايا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط.. فذلكم الرباط..

(رواه الترمذى ومسلم)

ومعنى ذلك أن المواظبة على الطهارة، وانتظار الصلاة بعد الصلاة: يعدل الجهاد في سبيل الله:

وتلك ثروة عظيمة من الثواب لا بد وأن يغتنمها ويستفيد بها كل مؤمن يعرف قيمة الوقت وقيمة العمل الصالح، كما يشير الأثر القائل:

«ما من يوم تطلع الشمس فيه إلا وهو ينادى يا ابن آدم أنا خلقٌ جديد، وعلى عملك شهيد، فأغتنم منى، فإنى لن أعود إلى يوم القيامة».

ولله در على رضى الله عنه، فلقد قال أيضاً مشيراً إلى هذا: «من أمضى يومه في غير حق قضاءه، أو فرض أداه، أو مجد بناه، أو حمد حصّله، أو علم اقتبسه، فقد عقر يومه وظلم نفسه».

(١) أى ذنوبه الصغائر، أما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة الصادقة.

(٢) إسباغ الوضوء: أى إتمامه على المكاره أى على الرغم من وجود ما يكره معه استعمال الماء كالبرد وغيره.

ولهذا.. فإن المؤمن تراه دائماً وأبداً حريصاً على اغتنام كل لحظة في حياته في طاعة الله تعالى، ولا سيما بالنسبة للصلاة التي تراه متهيئاً لها، ومستعداً لأدائها في بيوت الله وجماعة مع إخوانه المسلمين، كلما حان وقت الصلاة، ونادى المؤذن بقوله: ^(١) **حي على الصلاة، حي على الفلاح.**

وذلك لأنه يعرف ثواب ذلك، وفضله عند الله تبارك وتعالى:

فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: **«صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ»^(٢) بسبع وعشرين درجة.**

(متفق عليه)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم صل عليه، اللهم أرحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة.**

(متفق عليه، وهذا لفظ البخارى)

وتلك ثروة عظيمة من الحسنات لا بد وأن يحرص المؤمن الصادق على اكتنازها والفوز بها، ولا بد وأن يحرص كذلك على عدم التخلف عنها، لما ورد في ذلك من تحذيرات:

فعن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«والذى نفسى**

(١) أى أقبل على الصلاة وعلى الفلاح.

(٢) أى المنفرد.

بيده.. لقد همت أن أمر بحطب فيحطب، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس،
ثم أخافه إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم،^(١).

(متفق عليه)

وعنه أيضاً رضى الله عنه، أنه قال: أتى النبي ﷺ رجلاً أعمى، فقال:
يا رسول الله.. ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن
يرخص له فيصلى فى بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال له: «هل تسمع
النداء»^(٢) بالصلاة؟ قال: نعم.. قال: «فأجب».

(رواه مسلم)

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: «من سره أن يلقي الله تعالى غداً
مسلياً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع
لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم فى
بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم
سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم
النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى
الصف».

(رواه مسلم)

وفى رواية له، قال: إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى: الصلاة فى المسجد الذى
يؤذن فيه.

(١) وهذا من رحمة الله تعالى بنا.. لأن النبي ﷺ همّ ولم يفعل.. ولو فعل لجاز لنا أن
نحرق بيت الذى يستمع إلى النداء فلا يليه.. فلاحظ كل هذا أنخا الإسلام.. حتى
لا تتخلف عن صلاة الجماعة التى هى من أهم مؤكدات الإيمان فضلاً عن الثواب الناتج
عنها.

(٢) أى الأذان.

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».

(رواه أبو داود بإسناد حسن)

فالمؤمن لذلك يحافظ على صلاة الجماعة حتى يؤكد إيمانه، وحتى لا يستحوذ عليه الشيطان الذي يحرص على حرمانه من هذا الخير العظيم حتى لا يكون من أهل الجنة:

فعن حنظلة الكاتب رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة» - أو قال - «حُرِمَ على النار».

(رواه أحمد بإسناد جيد)

وروى عن كعب بن عجرة رضى الله عنه أنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن سبعة نفر، أربعة من موالينا، وثلاثة من عربنا، مسندى ظهورنا إلى مسجده، فقال: «ما أجلسكم؟ قلنا: جلسنا ننتظر الصلاة، قال: فأرم^(١) قليلاً ثم أقبل علينا، فقال: «هل تدرون ما يقول ربكم؟»

قلنا: لا.. قال:

«فإن ربكم يقول: من صلى الصلاة لوقتها، وحافظ عليها ولم يضيعها استخفافاً بحقها فله على عهد أن أدخله الجنة، ومن لم يصلها لوقتها، ولم يحافظ عليها وضيعها استخفافاً بحقها فلا عهد له على أن شئتُ عذبتُه، وإن شئتُ غفرتُ له».

(رواه الطبراني وأحمد)

(١) أرم بتشديد الميم وفتح الراء: أى سكت.

فالمؤمن لهذا - كما علمنا - يحافظ على الصلوات الخمس وفي أوقاتها كما يشير إليه قول الله تعالى:

﴿ إِنْ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾^(١).

وذلك حتى لا يكون يوم القيامة مع قاروون، وفرعون، وهامان، وأبى بن خلف:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ، أنه ذكر الصلاة يوماً، فقال: «من حافظ عليها: كانت له نوراً، وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها: لم يكن له نور، ولا برهان، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبى بن خلف».

(رواه أحمد)

وقال معلقاً عليه: من تركها بسبب الرياسة حشر مع فرعون، ومن تركها بسبب السياسة حشر مع هامان^(٢).

ومن تركها بسبب جمع المال حشر مع قارون ومن تركها من أجل الجدل والخصام حشر مع أبى بن خلف^(٣) أهـ.

والمؤمن يحافظ بصفة خاصة على الصلاة الوسطى تنفيذاً لأمر الله تعالى في قوله:

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾^(٤).

(١) النساء: ١٠٣.

(٢) لأن هامان كان وزيراً لفرعون يدير شئون الملك، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا ﴾ (غافر: ٢٦).

(٣) وكان أبى يجادل الرسول ﷺ كثيراً في شأن البعث والحياة والموت.

(٤) البقرة: ٢٣٨.

وقد اختلف الفقهاء فى تعيينها على عشرة أقوال، أو أكثر. فقال جماعة: هى صلاة الصبح لما فيها من المشقة، ولأنها صلاة تثقل على كثير من الناس.

وممن قال بهذا: عمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وابن عباس، وابن عمر، وجابر، ومالك، والشافعى.

وقال جمع غفير من الفقهاء والمحدثين: هى صلاة العصر، وقد رجح كثير من المحققين هذا رأى الأخير لورود الأحاديث الصحيحة الصريحة بذلك:

منها ما رواه مسلم وأحمد وأبو داود: أن رسول الله ﷺ، قال يوم الأحزاب: «حبسونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً».

وروى ابن جرير، من حديث أبى هريرة مرفوعاً «الصلاة الوسطى صلاة العصر».

ومن طريق كهيل بن حرملة سئل أبو هريرة عن الصلاة الوسطى، فقال: اختلفنا فيها ونحن بفناء بيت رسول الله ﷺ، وفيما أبو هاشم بن عتبة، فقال: أنا أعلم لكم، فقام فاستأذن على رسول الله ﷺ، ثم خرج إلينا، فقال: أخبرنا أنها صلاة العصر^(١).

وقد ورد الترغيب فى المحافظة على هذين الوقتين، بصفة خاصة:

فعن أبى موسى رضى الله عنه، أن رسول الله، قال: «من صلى البردين^(٢) دخل الجنة».

(رواه البخارى ومسلم)

(١) انظر المنهل العذب المورود ٣ ص ٣٢٤.

(٢) البردان: الصبح والعصر.

وعن أبي زهير عمارة بن رؤية رضى الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لن يلج^(١) النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، يعنى الفجر والعصر».

(رواه مسلم)

وعن جندب بن سفيان رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الصبح فهو فى ذمة الله، فانظر يا ابن آدم لا يظلمك الله من ذمته بشيء».

(رواه مسلم)

عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله - وهو أعلم بهم -: كيف تركتم عبادى؟».

فيقولون: «تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون».

(متفق عليه)

كما ورد الترغيب فى حضور الجماعة، فى الصبح والعشاء:

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله».

(رواه مسلم). وفى رواية الترمذى:

(١) أى لن يدخل النار.

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد
العشاء في جماعة: كان له قيام نصف ليلة، ومن شهد العشاء والفجر
في جماعة: كان كقيام ليلة».

(قال الترمذى: حديث حسن صحيح)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «ولو يعلمون
ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»^(١).

(متفق عليه)

وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من
صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا».

(متفق عليه)

وكذلك ورد الترغيب في التبكير إلى المسجد لحضور صلاة الجمعة، بعد
الاغتسال والتطيب، والتجمل بالثياب:

فعن سلمان الفارسي رضى الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «لا يغتسل رجل
يوم الجمعة، ويتطهر بما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس
من طيب بيته، ثم يروح إلى المسجد، ولا يفرق بين اثنين، ثم يصلى
ما كتب له، ثم ينصت للإمام إذا تكلم إلا غفر له من الجمعة إلى
الجمعة الأخرى».

(رواه أحمد والبخارى)

(١) أى زحفاً على الركب.

وعن أبي سعيد رضى الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «على كل مسلم الغسل يوم الجمعة، ويلبس من صالح ثيابه، وإن كان له طيب مَسَّ منه».

(أخرجه البخارى ومسلم)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «من اغتسل يوم الجمعة غُسل الجنابة»^(١) ثم راح: فكأنما قرب بدنة»^(٢)، «ومن راح فى الساعة الثانية: فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة: فكأنما قرب كبشاً أقرن»^(٣). «ومن راح فى الساعة الرابعة: فكأنما قرب دجاجة، ومن راح فى الساعة الخامسة: فكأنما قرب بيضة. فإذا خرج»^(٤) الإمام: حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

(رواه البخارى ومسلم)

وقد ورد التحذير من ترك صلاة الجمعة بدون عذر:

فعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «إن الله تعالى قد كتب عليكم الجمعة، فى مقامى هذا، فى ساعتى هذه، فى شهرى هذا، فى عامى هذا، إلى يوم القيامة، من تركها من غير عذر، مع إمام عادل، أو جائر، فلا جمع الله شمله، ولا بورك له فى أمره، ألا ولا صلاة له، ولا حج له، ألا ولا برَّ له، ولا صدقة له».

(رواه الطبرانى)

(١) معناه غسلا كغسل الجنابة.

(٢) أى ناقة.

(٣) أى له قرنان.

(٤) أى خرج من خلوته وصعد المنبر.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، أن النبي ﷺ، قال عن قوم يتخلفون عن صلاة الجمعة: «لقد هممت أن أمر رجلاً يصلى بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم».

(رواه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده)

وعن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال - وهو على أعواد منبره - : «لينتهين أقوام عن ودعهم^(١) الجمعة، أو ليختمن الله على قلوبهم، وليكتن من الغافلين».

(أخرجه أحمد والنسائى)

وعن أبى الجعد الضمرى وكانت له صحبة عن النبي ﷺ، قال: «من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه».

(رواه أبو داود، والنسائى، والترمذى وحسنه)

ولهذا.. ومن أجل كل هذا.. فإن المؤمن لا يتخلف عن صلاة الجماعة بالنسبة لجميع الأوقات بصفة عامة، ولا عن صلاة الجمعة بصفة خاصة، إلا إذا كان هناك عذر يمعنه من أدائها :

بأن كان مريضاً، أو مُقعداً، أو أعمى لا يجد من يقوده، ولا يهتدى بنفسه إلى محل الجامع. ويلحق بالعاجز من كان له عذر يمنعه من الحضور إليها، بأن كان ممرضاً يحتاج إليه المريض، ولو تركه يزداد مرضه، أو يتأخر شفاؤه، أو كان طبيباً يجرى عملية جراحية - مثلاً - أو كان مجبوساً لا يستطيع الخروج من حبسه، ونحو ذلك من الأعذار الضرورية. والدين يسر، والطاعة على قدر الطاقة.

(١) أى تركهم.

قال تعالى: ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾^(١).

وقال عز شأنه: ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾^(٢).

كذلك من أعذار التخلف عن الجماعة:

البرد والمطر:

فعن ابن عمر عن النبي ﷺ، أنه كان يأمر المنادى بالصلاة، ينادى: «صلوا في رحالكم في الليلة الباردة المطيرة في السفر».

(رواه الشيخان)

وعن جابر، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فمطرنا، فقال: «ليصل من شاء منكم في رحله»^(٣).

(رواه أحمد ومسلم، وأبو داود والترمذي)

ومثل البرد: الحر الشديد والظلمة، والخوف من ظالم: قال ابن ابطال: أجمع العلماء على أن التخلف عن الجماعة في شدة المطر والظلمة والريح وما أشبه ذلك مباح.

وكذلك حضور الطعام:

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «إذا

(١) الحج: ٧٨.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) في رحله: أى في منزله.

كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضى حاجته منه، وإن أقيمت الصلاة.

(رواه البخارى)

ومدافعة الأخبثين (البول والغائط) :

فمن عائشة رضى الله عنها، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافع الأخبثين».

(رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود)

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه، قال: «من فقه الرجل إقباله على حاجته، حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ».

(رواه البخارى)

ثم إن المؤمن عندما يلبي نداء الله، ويكون فى داخل المسجد: فإنه سيبدأ بصلاة السنن الراقبة^(١)، وهى سنة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، وإليك بيانها:

سنة الفجر:

وردت عدة أحاديث فى فضل المحافظة عليها، منها:

عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فى

(١) إذا لم يكن قد صلى السنة القبلية فى بيته قبل أن يذهب إلى المسجد وهو أفضل.

الركعتين قبل صلاة الفجر، قال: «هما أحب إلى من الدنيا جميعاً».

(رواه أحمد، ومسلم، والترمذی)

وعنها أيضاً رضى الله عنها، قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد معاهدة (١) من الركعتين قبل الصبح».

(رواه الشيخان، وأحمد، وأبو داود)

وعنها أن النبي ﷺ، قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها».

(رواه أحمد ومسلم، والترمذی، والنسائي) ولأحمد ومسلم عنها، قالت:

«ما رأيته إلى شيء من الخير أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر».

ومن السنة تخفيف القراءة في ركعتي الفجر:

فمن حفصة، قالت: كان رسول الله ﷺ، يصلي ركعتي الفجر قبل الصبح في بيتي يخففهما جداً. قال نافع: وكان عبد الله - يعني ابن عمر - يخففهما كذلك.

(رواه أحمد والشيخان)

وقد ورد أنه يُستحب القراءة في ركعتي الفجر - بعد الفاتحة (٢) - بالوارد عن النبي ﷺ، والذي منه:

عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿ قل

(١) أي مواظبة.

(٢) لأنه لا صلاة بدونها : (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب).

يأيها الكافرون» و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وكان يُسر بها.

(رواه أحمد والطحاوي)

وعنها أن النبي ﷺ، كان يقول : «نعم السورتان هما» كان يقرأ بهما في الركعتين قبل الفجر: ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل هو الله أحد ﴾.

(رواه أحمد وابن ماجه)

* وعن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون ﴾ (١).

والتي في آل عمران: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (٢).

(رواه مسلم)

وعنه في رواية أبي داود أنه كان يقرأ في الركعة الأولى: ﴿ قولوا آمنا بالله... ﴾ وفي الثانية: ﴿ فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ (٣).

(١) البقرة : ١٣٦ .

(٢) آل عمران : ٦٤ .

(٣) آل عمران : ٥٢ .

ويجوز الإقتصار على الفاتحة وحدها:

فعن عائشة رضی اللہ عنہا، قالت: كان قيام رسول اللہ ﷺ في الركعتين قبل صلاة الفجر قدر ما يقرأ فاتحة الكتاب.

(رواه أحمد، والنسائي، والبيهقي، ومالك، والطحاوي)

وقد ورد كذلك في الأذكار للنووي أنه روى في كتاب ابن السني:

عن أبي المليح، واسمه عامر بن أسامة، عن أبيه أنه صلى ركعتي الفجر، وأن رسول اللہ ﷺ: صلى قريباً منه ركعتين خفيفتين ثم سمعه يقول وهو جالس: اللهم رب جبريل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبي ﷺ أعوذ بك من النار، [ثلاث مرات].

وعن أنس عن النبي ﷺ، قال: «من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة (١): أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات: غفر الله تعالى ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر».

وإذا كان قد ورد الإضطجاع على الشق الأيمن بعد سنة الفجر: فقد قال الحافظ في الفتح: وذهب بعض السلف إلى استحبابها في البيت دون المسجد.

وأما عن قضائها، فقد ورد كذلك، أنهما تقضيان: قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها، سواء أكان فواتها لعذر أو لغير عذر، وسواء فاتت وحدها أو مع الصبح.

سنة الظهر:

وقد ورد في سنة الظهر، أنها أربع ركعات، أو ست، أو ثمان، وإليك بيانها مفصلاً (٢) حسب هذا الترتيب:

(١) أي: صلاة الصبح.

(٢) كما في فقه السنة ج ٢.

عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: حفظت من النبي ﷺ عشر ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح (رواه البخارى).

عن عبد الله بن شقيق، قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: كان يصلى قبل الظهر أربعاً واثنتين بعدها

(رواه أحمد ومسلم وغيرهما)

وعن أم حبيبة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من صلى أربعاً قبل الظهر، وأربعاً بعدها: حرم الله لحمه على النار».

(رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذى)

وقد ورد: فضل الأربع قبل الظهر:

فعن أبى أيوب الأنصارى: «أنه كان يصلى أربع ركعات قبل الظهر، فقل له: إنك تديم هذه الصلاة، فقال: إني رأيت رسول الله يفعلها، فسألته فقال: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحببت أن يرفع لى فيها عمل صالح».

(رواه أحمد وسنده جيد)

قال أبو جعفر الطبرى: الأربع كانت فى كثير من أحواله، والركعتان فى قليلها.

قال فى فقه السنة: وإذا صلى أربعاً قبلها أو بعدها فالأفضل أن يُسلم بعد كل ركعتين، ويجوز أن يصليها متصلة فى تسليم واحد، لقول رسول الله ﷺ «صلاة الليل والنهار مثنى مثنى».

(رواه أبو داود بسند صحيح)

وحول قضاء سنة الظهر القبليّة، فقد ورد:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ، كان إذا لم يصل أربعاً قبل الظهر صلاهن بعدها.

(رواه الترمذی وقال: حديث حسن غريب)

وروى ابن ماجه عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر (١).

أما قضاء راتبة الظهر البعدية، فقد جاء فيه ما رواه أحمد:

عن أم سلمة، قالت: صلى رسول الله ﷺ وسلم الظهر، وقد أتى بمال، ففقد يقسمه حتى أتاه المؤذن بالعصر فصلى العصر ثم انصرف إلى، وكان يومى، فركع ركعتين خفيفتين، فقلنا ما هاتان الركعتان يا رسول الله، أمرت بهما؟ قال: لا.. ولكنهما ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر، فشغلنى قسم هذا المال حتى جاء المؤذن بعد العصر فكرهت أن أدعهما، (٢).

(رواه البخارى ومسلم وأبو داود بلفظ آخر)

وهذا دليل على أفضلية قضائهما لأنهما من السنن المؤكدة أى التى واظب الرسول ﷺ على فعلها.

سنة المغرب:

وقد ورد كما عرفت وقرأت فى حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أنه يسن بعد صلاة المغرب ركعتين وأنهما من الصلاة التى لم يكن يدعهما النبي ﷺ.

(١) لأن السنن القبليّة يمتد وقتها إلى آخر وقت الفريضة.

(٢) أى أتركهما.

ويستحب في سنة المغرب أن يقرأ فيها بعد الفاتحة بـ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾
﴿قل هو الله أحد﴾ .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: ما أحصى ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب، وفي الركعتين قبل الفجر بـ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾.

(رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه)

وكذا يستحب أن تُؤدى في البيت:

فعن محمود بن لبيد، قال: أتى رسول الله ﷺ بنى عبد الأشهل فصلى بهم المغرب، فلما سلم، قال: «اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم» .

(رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى)

** هذا.. إذا كنت ستعود إليه - أى إلى بيتك - بعد الصلاة، أما إذا كنت ستجلس في المسجد للإستماع إلى درس علم - مثلاً - إلى صلاة العشاء، أو إذا كنت ستذهب إلى مكان ما لقضاء مصلحة لك أو لغيرك، فلا مانع من أداء تلك السنة في المسجد، وكذلك بالنسبة لجميع السنن القبلية والبعدية.

* مع ملاحظة أنه من الأفضل إذا لم تكن هناك أسباب - كتلك التى وقفتَ عليها - : أن تُؤدى جميع السنن في بيتك.

* فعن جابر أن النبی ﷺ، قال : «إذا صلى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإن الله عز وجل جاعل في بيته من صلاته خيراً» .

(رواه أحمد ومسلم)

وعن عمر رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ، قال: «صلاة الرجل في بيته تطوعاً نور فمن شاء نور بيته».

(رواه أحمد)

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً» (١).

(رواه أحمد وأبو داود)

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة» (٢).

(رواه أبو داود بإسناد صحيح)

* قال النووي: إنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى عن الرياء وأصون من محبطات الأعمال، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة، وينفر منه الشيطان.

سنة العشاء:

وقد تقدم من الأحاديث ما يدل على سنة الركعتين بعد العشاء، بالإضافة إلى هذا الحديث:

عن المغيرة بن سليمان، قال: سمعت ابن عمر، يقول: «كانت صلاة رسول الله ﷺ أن لا يدع ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الصبح».

(رواه أحمد بسند جيد)

(١) لأنه ليس في القبور صلاة.

(٢) أى المفروضة.

— هذا بالنسبة للسنن المؤكدة (١)، أما غير المؤكدة (٢)، فأليك كذلك بيانها:

السنن غير المؤكدة

ركعتان أو أربع قبل العصر:

وقد ورد فيها عدة أحاديث متكلم فيها، ولكن لكثرة طرقها يؤيد بعضها بعضاً، منها:

حديث ابن عمر، قال: رسول الله ﷺ :

«رحم الله امرءاً صلى قبل العصر أربعاً،

(رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن حبان وصححه، وكذا صححه ابن خزيمة).

وحديث عليّ أن النبي ﷺ، كان يصلي قبل العصر أربعاً يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبیین ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين،

(رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي وحسنه)

وأما الإقتصار على ركعتين فقط فدليله عموم قوله ﷺ :

(١) السنة المؤكدة هي ما فعلها النبي ﷺ وواظب عليها.. ورغب فيها .. وهذه السنة المؤكدة يثاب الإنسان على فعلها ويعاتب على تركها.

(٢) وغير المؤكدة: هي التي تركها النبي ﷺ في بعض الأحيان، ولم يرغب فيها كثيراً.. ويسمونها الفقهاء: مستحباً، أو مندوباً، أو سنة خفيفة.. وهذه السنة: يثاب الإنسان على فعلها ولا يعاتب على تركها.

.. ومع هذا، فإنني أرجو من الأخ المسلم أن يحرص على السنن المؤكدة وغير المؤكدة حتى لا يحرم من هذا الثواب الذي سيكون هناك عند الله تعالى في أشد الحاجة إليه.. والله الموفق.

«بين كل أذانين صلاة»

(من حديث رواه الجماعة)

ركعتان قبل المغرب:

أى بعد أذان المغرب، وقد ورد فيهما:

عن عبد الله بن مغفل، أن النبي ﷺ، قال: «صلوا قبل المغرب، صلوا قبل المغرب، ثم قال فى الثالثة: «لمن شاء، كراهية أن يتخذها الناس سنة.

(رواه البخارى)

وفى رواية لابن حبان: أن النبي ﷺ، صلى قبل المغرب ركعتين.

وفى مسلم: عن ابن عباس، قال: كنا نصلى ركعتين قبل غروب الشمس، وكان رسول الله ﷺ يرانا فلم يأمرنا ولم ينهنا.

قال الحافظ فى الفتح : ومجموع الأدلة يُرشد إلى استحباب تخفيفهما كما فى ركعتى الفجر.

ركعتان قبل العشاء :

وقد ورد فيهما، كذلك:

من حديث عبد الله بن مغفل أن النبي ﷺ، قال: «بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة، ثم قال فى الثالثة : «لمن شاء» .

(رواه الجماعة)

ولابن حبان، من حديث ابن الزبير أن النبي ﷺ، قال: «ما من صلاة مفروضة إلا وبين يديها ركعتان» .

صلاة الوتر

وأما عن الوتر:

فهو سنة مؤكدة، حث عليه الرسول ﷺ ورغب فيه:

فمن على رضى الله عنه، قال: إن الوتر ليس بحتم (١) كصلاتكم المكتوبة، ولكن رسول الله ﷺ أوتر، ثم قال: «يا أهل القرآن .. أوتروا فإن الله وتر (٢) يحب الوتر»

(رواه أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذى، ورواه الحاكم أيضا وصححه)

وقت الوتر

وقد أجمع العلماء على أن وقت الوتر لا يدخل إلا بعد صلاة العشاء وأنه يمتد إلى الفجر.

ويستحب تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل، وتأخيرها لمن ظن أنه يستيقظ آخره:

* فمن جابر رضى الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من ظن منكم أن لا يستيقظ آخره فليوتر أوله، ومن ظن منكم أنه يستيقظ آخره (٣) فليوتر آخره، فإن صلاة آخر الليل محصورة (٤) وهى أفضل،

(رواه أحمد، ومسلم، والترمذى، وابن ماجه)

(١) أى ليس بلام.

(٢) أى أنه سبحانه وتعالى واحد يحب صلاة الوتر ويشيب عليها قال نافع: وكان ابن عمر لا يصنع شيئا إلا وترأ.

(٣) أى آخر الليل.

(٤) أى تحضرها الملائكة.

وعنه رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال لأبى بكر: «متى توتر؟»
قال: أول الليل بعد العتمة (١) قال: «فأنت يا عمر؟» قال: آخر
الليل. قال: «أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالثقة (٢)، وأما أنت يا عمر
فأخذت بالقوة، (٣)»

(رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم)

قال فى فقه السنة ج ٢ : وانتهى الأمر برسول ﷺ إلى أنه كان يوتر وقت
السحر لأنه الأفضل كما تقدم. قالت عائشة رضى الله عنها : «من كل الليل
قد أوتر النبى ﷺ : من أول الليل وأوسطه وآخره، فأنتهى وتره إلى
السحر» .

(رواه الجماعة)

عدد ركعات الوتر

وأما عن عدد ركعات الوتر:

فقد قال الترمذى: روى عن النبى ﷺ:

«الوتر بثلاث عشرة ركعة، وإحدى عشرة ركعة، وتسع، وسبع
 وخمس، وثلاث، وواحدة» .

(١) أى العشاء.

(٢) أى الحزم والحيلة.

(٣) أى العزيمة على القيام آخر الليل.

قال اسحاق بن ابراهيم: معنى ما روى عن النبي ﷺ كان يوتر بثلاث عشرة ركعة، أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر، يعنى من جملتها الوتر، فنسبت صلاة الليل إلى الوتر.

قال فى فقه السنة ج ٢ : ويجوز أداء الوتر ركعتين ركعتين (١) ثم صلاة ركعة بتشهد وسلام، كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد إلا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة فيتشهد فيها ثم يقوم إلى الركعة الأخيرة فيصليها ويتشهد فيها ويسلم، ويجوز أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة، كل ذلك جائز وارد عن النبي ﷺ..
قال ابن القيم: وردت السنة الصحيحة الصريحة المحكمة فى الوتر بخمس متصلة، وسبع متصلة. كحديث أم سلمة: كان رسول الله ﷺ يوتر بسبع وبخمس لا يفصل بسلام ولا بكلام.

(رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه بسند جيد)

وكقول عائشة: كان رسول الله ﷺ يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس لا يجلس إلا فى آخرهن.

(متفق عليه)

القراءة فى الوتر

قال فى فقه السنة : يجوز القراءة فى الوتر بعد الفاتحة بأى شىء من القرآن.

قال على : ليس من القرآن شىء مهجور فأوتر بما شئت.

(١) أى يسلم على رأس كل ركعتين.

ولكن المستحب إذا أوتر بثلاث أن يقرأ في الأولى بعد الفاتحة : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ وفي الثانية : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفي الثالثة : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، والمعوذتين :

فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقرأ في الركعة الأولى بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ وفي الثانية : بـ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ وفي الثالثة : بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، والمعوذتين .

(رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وحسنه)

القنوت في الوتر

ويشرع القنوت في الوتر في جميع السنة :

لما رواه أحمد وأهل السنن وغيرهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه ، قال : علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر : «اللهم اهدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فانك تقضي ولا يقضى عليك ، وأنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلى الله على النبي محمد» . قال الترمذي : هذا حديث حسن . قال : ولا يعرف عن النبي ﷺ في القنوت شيء أحسن من هذا .

وقال النووي : إسناده صحيح .

وذهب الشافعي وغيره إلى أنه لا يقنت في الوتر إلا في النصف الأخير من رمضان :

لما رواه أبو داود أن عمر بن الخطاب جمع الناس على أبي بن كعب وكان يصلي لهم عشرين ليلة ولا يقنت إلا في النصف الباقي من رمضان.

ويجوز القنوت قبل الركوع بعد الفراغ من القراءة، ويجوز كذلك بعد الرفع من الركوع.

فعن حميد، قال: سألت أنسًا عن القنوت قبل الركوع أو بعد الركوع؟ فقال: كنا نفعل قبل وبعد.

(رواه ابن ماجه، ومحمد بن نصر، قال الحافظ في الفتح: إسناده قوى).

وإذا قنت قبل الركوع كبر رافعًا يديه بعد الفراغ من القراءة وكبر كذلك بعد الفراغ من القنوت: روى ذلك عن بعض الصحابة، وبعض العلماء استحَب رفع يديه عند القنوت، وبعضهم لم يستحب ذلك.

...

الدعاء بعده

ويستحب أن يقول المصلي بعد السلام من الوتر ماورد في نص الحديث الآتي:

* عن أبي بن كعب، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في الوتر بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ و﴿قل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾، فإذا سلم، قال «سبحان الملك القدوس»، ثلاث مرات يمد بها صوته في الثالثة ويرفع،

وهذا لفظ النسائي، زاد الدارقطني، ويقول: «رب الملائكة والروح، ثم يدعو بما رواه أحمد وأصحاب السنن:

عن علي أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره: «اللهم إني أعوذ برضاك

من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

ومن صلى الوتر ثم بدا له أن يصلي جاز ولا يعيد الوتر:

فعن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لا وتران في ليلة».

(رواه أبو داود، والنسائي، والترمذي وحسنه)

وقد ذهب جمهور العلماء إلى مشروعية قضاء الوتر:

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: «إذا أصبح أحدكم ولم يوتر فليوتر،

(رواه البيهقي والحاكم وصححه على شرط الشيخين)

ما بعد إقامة الصلاة

وعندما تقام الصلاة، فإن المؤمن يقول: «أقامها الله وأدامها»:

فعن بعض أصحاب رسول الله ﷺ، أن بلالاً أخذ في الإقامة، فلما قال: قد قامت الصلاة، قال النبي ﷺ: «أقامها الله وأدامها».

ثم عندما يقف المؤمن في الصف، فإنه سيلاحظ ماورد في الأحاديث الآتية حتى يقبل الله صلاته:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا^(١) عليه لا استهموا».

(رواه البخاري ومسلم)

(١) أي بقتروا.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن الرسول ﷺ، قال: «أقيموا الصفوف وحاذوا المناكب^(١)، وسدوا الخلل^(٢)، ولينوا بأيدي^(٣) اخوانكم ولا تذروا فرجات الشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله».

(رواه أحمد وأبو داود)

وعن أنس رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «سَوُّوا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة».

(رواه البخارى ومسلم)

وفى رواية للبخارى: «فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة».

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «خياركم أليّنكم مناكب فى الصلاة، وما من خطوة أعظم أجراً من خطوة مشاها رجل إلى فرجة فى الصف فسدها».

(رواه البزار باسناد حسن)

وعن أنس رضى الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه، فقال: «أيها الناس .. إني امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالقيام، ولا بالانصراف فإني أراكم أمامى ومن

(١) جمع منكب كمجلس: مجمع عظم العضد والكتف.

(٢) الخلل بفتح اللام: الفرجة.

(٣) أى لا تمتنعوا على من يجئ ليدخل فى الصف فيضيق به المكان فيبدء صفاً جديداً فاذا جزبكم إليه فلينوا معه.

خلفي،، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟ قال: «رأيت الجنة والنار».

(رواه مسلم)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يأمن الذي يرفع رأسه في صلاته قبل الإمام أن يحول الله صورته في صورة حمار».

(رواه مسلم)

وعنه رضي الله عنه، قال: قال: «الذي يرفع رأسه ويخفضه قبل الإمام إنما ناصيته (١) بيد شيطان».

(أخرجه مالك)

وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار - أو صورته صورة حمار؟

(أخرجه الخمسة)

** وعلى الأخ الإمام والمنفرد أن يلاحظا كذلك ما جاء في تلك الأحاديث: عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء (٢) فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة (٣)، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة (٤)، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».

(رواه مسلم)

(١) مقدم رأسه، والمعنى أنه استولي عليه وصار زمامه بيده.

(٢) ومنه الإحسان في العبادة وأخصها الصلاة، وذلك بالخشوع فيها والالتيان بها كاملة الأركان تامة الشروط.

(٣) القتلة بكسر القاف: هيئة القتل.

(٤) الذبحة بالكسر: هيئة الذبح.

وعن أبي مسعود البدرى، قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تُجزئ صلاة الرجل حتى يُقيم ظهره فى الركوع والسجود،

(رواه أحمد، وأبو داود، واللفظ له)

وعن أبي قتادة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته». قالوا : يا رسول الله .. كيف يسرق من الصلاة؟ قال: « لا يتم ركوعها ولا سجودها»، أو قال: «لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود».

(رواه أحمد والحاكم)

وعن أبي عبد الله الأشعرى أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهى يصلى، فقال رسول الله ﷺ : «لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد ﷺ». ثم قال رسول الله : «مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يُغنيان عنه شيئاً».

(رواه الطبرانى فى الكبير)

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن العبد إذا صلى فلم يتم صلاته : خشوعها ولا ركوعها، وأكثر الالتفات لم تقبل منه، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه وإن كان على الله كريماً».

(رواه الطبرانى)

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «أول شيء يُرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعاً».

(رواه الطبراني)

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال^(١) أقوام يرفعون أبصارهم الى السماء - فى صلاتهم - فاشتد قوله فى ذلك حتى قال: - لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم،

(رواه البخارى)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن التلّفت فى الصلاة، فقال: «إختلاس^(٢) يختلسه الشيطان من صلاة العبد».

(رواه البخارى والنسائى)

وعن أبي ذر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الله مُقبلاً على العبد فى صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه».

(رواه أبو داود والنسائى)

ما بعد الصلاة

ثم بعد انتهاء الصلاة والخروج منها بالسلام: فإنه يُسن للمصلى^(٣) - سواء أكان إماماً أو مأموماً - أن يستغفر الله ثلاثاً، ويقول: اللهم أنت السلام

(١) أى ما شأنهم يصنعون ذلك، وقوله لينتهن: تهديدا لهم.

(٢) من اختلس الشيء: أى استلبه وخطفه.

(٣) كما جاء فى الدين الخالص ج ٢ ص ٣٣٤.

ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. ويقرأ آية الكرسي، و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾، والمعوذتين.

ويقول: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين، ويختم المائة، بقوله: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، والدعاء بالمأثور أحب، وقد ورد في ذلك أحاديث منها :

حديث ثوبان مولى النبي ﷺ، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثاً، وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام،

(أخرجه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وصححه الترمذي).

وحديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ، قال له : «أوصيك يا معاذ.. لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك، وشكرك ، وحسن عبادتك،

(أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين)

وحديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، قال: «من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى».

(أخرجه الطبراني بسند حسن)

وحديث عقبة بن عامر، قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة.

(أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي)

وحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين، فتلك تسع وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير: غُفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر،

(أخرجه أحمد ومسلم)

وحديث سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: ذهب أهل الدثور^(١) بالدرجات العلا والنعيم المقيم. قال: «وما ذاك» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً تُدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتُم؟ قالوا: بلى يا رسول الله.. قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة».

فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

قال سمي: فحدثت بعض أهلي بهذا الحديث، فقال: وهمت إنما قال: تسبح ثلاثاً وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين.

فرجعت إلى أبي صالح، فقلت له ذلك، فأخذ بيدي، فقال: «الله أكبر

(١) الدثور: أي الأموال الكثيرة.

وسبحان الله والحمد لله. الله أكبر وسبحان الله والحمد لله حتى
تبلغ من جميعهن ثلاثاً وثلاثين، .

(أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم)

وروى سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنهم
قالوا : يا رسول الله .. ذهب أهل الدثور.. بمثل الحديث السابق. وزاد في
الحديث: يقول سهيل : إحدى عشرة إحدى عشرة فجميع ذلك
كله ثلاثة وثلاثون.

(أخرجه مسلم)

وحديث محمد بن أبي عائشة عن أبي هريرة أنه حدثهم أن أبا ذر، قال : يا
رسول الله.. ذهب أصحاب الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون
كما نصوم، ولهم فضول أموالهم يتصدقون بها، وليس لنا ما نتصدق به. فقال
ﷺ: «أفلا أدلك على كلمات إذا عملتَ بهن أدركتَ من سبقك، ولا
يلحقك إلا من أخذ بمثل عملك؟ قلت: بلى يا رسول الله .. قال: «تكبر
دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتسبح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين،
وتختتمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير» .

(أخرجه أحمد، وأبوداود، والدارمي)

وفي رواية: «تسبح الله خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً
وثلاثين، وتكبر أربعاً وثلاثين» .

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ، قال: «دخلتان
من حافظ عليهما أدخلتاه الجنة، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل،
قالوا: وما هما يا رسول الله؟

قال : «أن تحمد الله وتكبره وتسبحه في دبر كل صلاة مكتوبة عشراً
عشراً، وإذا أتيت إلى مضجعك تسبح الله وتكبره وتحمده مائة مرة،
فتلك خمسون ومائتان باللسان وألفان وخمسمائة في الميزان، فأياكم
يعمل في اليوم واللييلة ألفين وخمسمائة سيئة.. الحديث.

وفيه : ورأيت رسول الله ﷺ يعقدن بيده.

(أخرجه أحمد والنسائي بسند صحيح)

ثم يقول في الدين الخالص معلقاً على تلك الأحاديث:

فعلم من هذه الروايات أن التسبيح عقب الصلوات وارد على أعداد مختلفة،
فأى عدد منها عمل به الإنسان فقد وافق الوارد. وأكثرها وأقواها رواية التسبيح
ثلاثاً وثلاثين، والتحميد والتكبير كذلك. فالعمل بها أولى. وأخذ من هذه
الروايات أن مراعاة العدد المخصوص في الأذكار عقب الصلوات معتبرة، فلا
يتعدها الذاكرو إلا حرم ثوابها..

كما يقول كذلك: يجوز عد هذه الأذكار ونحوها بالأصابع أو النوى أو
السبحة أو غيرها:

* لقول ابن عمر : «رأيتُ رسول الله ﷺ يعقد التسبيح بيمينه،

(أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه، والترمذي وحسنه)

بعض الأدعية الواردة بعد الصلاة

عن أبي بكرة أن النبي ﷺ، كان يقول دبر كل صلاة : «اللهم عافني
في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، اللهم

إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت، .

(أخرجه أبو داود والحاكم وصححه السيوطي)

وعن عبد الله بن الزبير، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلم في دبر الصلاة أو الصلوات يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا نعبد إلا إياه، أهل النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، .

(أخرجه الشافعي وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي)

وعن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»

(أخرجه أحمد والشيخان)

وعن الحارث بن مسلم التميمي، قال: قال لي النبي ﷺ: «إذا صليت الصبح، فقل قبل أن تتكلم: اللهم أجرني من النار، سبع مرات فإنك إن مت من يومك ذلك كتب الله لك جواراً من النار، وإذا صليت المغرب، فقل قبل أن تتكلم: اللهم إني أسألك الجنة، اللهم أجرني من النار، سبع مرات، فإنك إن مت من ليلتك تلك كتب الله لك جواراً من النار، .

(أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي بسند جيد)

...

تعليق

وهكذا ترى أيها المسلم أن الصلاة في المسجد جماعة مع إخوانك المسلمين - ولا سيما إذا كنت معتاداً عليها - تعتبر دليلاً صادقاً، وبرهاناً ساطعاً على صدق إيمانك:

فعن أبي سعيد أن النبي ﷺ، قال: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (١)».

(رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والترمذي وحسنه والحاكم وصححه).

هذا بالإضافة إلى الثواب العظيم الذي ستفوز به، ولا سيما إذا كانت الصلاة هذه في إحدى المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها، وهي: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، والمسجد الأقصى:

فعن جابر أن النبي ﷺ، قال: «صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة في مسجدي ألف صلاة، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة».

(رواه البيهقي)

(١) التوبة : ١٨.

وروى أحمد أن النبي ﷺ، قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة».

وقد عرفت قبل ذلك، أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم صل عليه اللهم ارحمه. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة».

(متفق عليه وهذا لفظ البخاري)

وقد تسأل الأخت المسلمة، بعد أن قرأت الحديثين: «إذا رأيت الرجل يعتاد المسجد...»، «صلاة الرجل في جماعة..» بالإضافة إلى قول الله تعالى:

«... في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» (١):

(١) النور: ٣٦ - ٣٨.

قد تسأل الأخت المسلمة بعد أن تقرأ كل هذا : وهل معنى هذا أن المرأة المؤمنة لن تفوز بتلك الثروة من الحسنات التي فاز وسيفوز بها الرجل المؤمن كلما ذهب إلى المسجد مليئاً نداء الله ؟

فندكرها إن شاء الله تعالى إجابة على تساؤلها، بحكم:

(حضور النساء الجماعة في المساجد)

والخلاصة التي أحب أن تقف عليها الأخت المسلمة، هي أنه يجوز لها أن تخرج إلى المساجد وشهود الجماعة إذا أذن لها زوجها بهذا، وبشرط أن تكون متجنباً ما يثير الشهوة ويدعو إلى الفتنة من الزينة والطيب:

فمن عمر أن النبي ﷺ، قال: « لا تمنعوا النساء أن يخرجن إلى المساجد، ويصليهن خير لهن. »

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « لا تمنعوا إماء (١) الله مساجد الله، وليخرجن تفلات، (٢). »

(رواهما أحمد وأبو داود)

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ، قال: « أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة. »

(رواه مسلم وأبو داود والنسائي بإسناد حسن)

وقد كان النساء على عهد رسول الله ﷺ يحضرن الجماعات، ويصلين خلف الرجال.

ومع هذا.. فإنني أقول للأخت المسلمة: من الخير لك - كما قال الرسول ﷺ أن تؤدين الصلاة في بيتك.

(١) إماء الله : جمع أمة، والمراد بها المرأة المسلمة.

(٢) تفلات : أى غير متطيبات.

فمن أم حميد الساعدية رضى الله عنها، أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله.. إني أحب الصلاة معك، فقال ﷺ : قد علمت وصلاتك في حجرتك خير لك من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لك من صلاتك في مسجد الجماعة.

(رواه أحمد والطبراني)

ولا سيما في هذا الزمان الذي انتشر فيه الفساد وذاع وشاع حتى ملأ البقاع.

وقد أنكرت عائشة رضى الله عنها، خروج النساء إلى المساجد لما رأتهن يخرجن وعليهن بعض الزينة، أو على غير الهيئة التي كن يخرجن عليها على عهد رسول الله ﷺ. فقالت رضى الله عنها: لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد^(١)، كما منعه نساء بنى اسرائيل.

(رواه البخاري ومسلم)

فأرجو أن تلاحظ الأخت المسلمة هذا، مع ملاحظة أنها لن تحرم إن شاء الله تعالى من الثواب، ما دامت : ستؤدى فرضها وتصوم شهرها، وتحفظ فرجها، وتطيع زوجها.

وفى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى:

﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾^(٢). ويقول :

(١) أى لمنعهن من الحضور إلى المسجد كما منعت من الحضور إليها نساء بنى اسرائيل.

(٢) النحل : ٩٧.

➤ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا (١).

وحسب الأخت المسلمة أن تعلم كذلك أن الله تعالى لن يحاسبها على عدم ذهابها إلى المسجد، بعكس الرجل الذي ورد ترهيبه حتى لا يتخلف عن الصلاة في المسجد:

فعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء فلم يمنع من اتباعه عذر، قالوا: وما العذر؟ قال: «خوف أو مرض، لم تقبل منه الصلاة التي صلى».

(رواه أبو داود وابن ماجه)

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من سمع منادى الله ينادى إلى الصلاة فلا يجيبه».

(رواه أحمد)

ثم هناك ملاحظة أخيرة، لا بد وأن أعود بها إلى الأخ المسلم، وهي أن: الإسلام يأمر بالانتشار في الأرض بعد الصلاة، وإلى هذا يشير الله تبارك وتعالى في سورة الجمعة:

(١) الأحزاب : ٣٥.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

وهذا معناه أن الإسلام يدعو إلى العمل حتى في يوم الجمعة الذي يستريح فيه كثير من الناس.

وذلك لأن العمل هو السبيل إلى عزة الإنسان وسعادته:

وقد ثبت أن النبي ﷺ دخل المسجد ذات يوم فرأى أبا أمامة، يجلس فيه في غير وقت صلاة، فقال له: «يا أبا أمامة .. مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟» (٢) فقال: هموم لزمته وديون يا رسول الله. فقال له صوات الله وسلامه عليه: «أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك.. قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».

يقول أبو أمامة: «ف فعلت ذلك، فأذهب الله همي، وقضى عني ديني»

(رواه أبو داود)

ويُفهم من هذا الحديث: أن أبا أمامة رضى الله عنه طبق هذا الدعاء تطبيقاً عملياً، بدليل قوله: ففعلت ذلك.. فكانت النتيجة لهذا التطبيق الإيجابي أن أعانه الله تعالى على ذهاب همومه، وقضاء ديونه.

وقد كان النبي ﷺ، يرغب في العمل ويرهب (٣) من تركه:

(١) الجمعة : ١٠.

(٢) ولم تكن تلك عادته.

(٣) يرغب، ويرهب: بضم أوله وكسر ثالثه مع التشديد.

فمن أبى عبد الله الزبير بن العوام رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

(رواه البخارى)

كما كان النبى ﷺ يحب العمل ويشجع العامل:

يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه: جُعْتُ يوماً، فذهبت إلى عوالى المدينة (١) أطلب عملاً، فوجدت امرأة قد جمعت تراباً متلبداً تريد بله بالماء، فبادلتها كل ذنوب على ثمرة، فملأت لها ستة عشر ذنوباً حتى مَجَلَّتْ يَدَى (٢)، فبسطت كفى لترى أثر العمل، فَعَدَّتْ لى سِتَّ عشرة ثمرة.

فأخذتها وذهبت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما حدث، ففرح وأكل معي منها.

وهكذا.. نرى أن العمل شرف وواجب، لأنه لا كرامة للإنسان إلا بالاستغناء عن الناس، والاستغناء لن يكون إلا بالعمل والإنتاج، والسعى فى مناكب الأرض طلباً للرزق. ولله درُّ على رضى الله عنه فلقد قال:

لحملى الصخر من قمم الجبال . أحب إلى من مَنَنِ الرجال
يقول الناس لى فى الكسب عار . فقلت العار فى ذل السؤال

هذا مع ملاحظة، أنه ليس فى الإسلام ما يُسمى بالتواكل - وهو ترك العمل (٣) - وإنما هناك ما يسمى بالتوكل، وهو تفويض الأمر إلى الله تعالى،

(١) اسم مكان فى المدينة.

(٢) أى احمرت.

(٣) بدعوى الزهد.

مع الأخذ بالأسباب:

وفى الحديث الشريف يشير الرسول ﷺ، فيقول: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله: لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصاً، وتروح بطاناً» (١).

(رواه الترمذى وقال: حديث حسن)

وقد أخرج الحاكم، وابن أبي الدنيا، عن معاوية بن قرة قال: لقي عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ فقالوا: متوكلون. قال: كذبتُم .. ما أنتم متوكلون، إنما المتوكل الذى ألقى حبة فى الأرض، وتوكل على الله.

فليذكر الأخ المسلم كل هذا، حتى يكون من العاملين لدنياهم وأخراهم: ففى الحديث الشريف: «خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلاً على الناس».

مع ملاحظة: أن لا يُشغل بدنياه عن أخراه، حتى لا يكون من الخاسرين، كما يشير قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢).

(١) أى تذهب أول النهار خماصاً: أى ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار بطاناً: أى ممتلئة البطون.

(٢) المنافقون : ٩.

وقد قرأتُ في كتب التفسير، وفي (القرطبي) بصفة خاصة.. أن سليمان عليه السلام وهو في الطريق. بجنوده إلى ميدان من ميادين الجهاد في سبيل الله.. وعلى بعد ثلاثة أميال من وادي النمل.. سمع النملة تقول لبني جنسها من النمل: «يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون». فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين» (١).. ثم أمر الجند بأن يعسكروا بعيداً عن وادي النمل حتى يدخل النمل مساكنه.. وفعلاً فعل الجند هذا.. ثم ذهبت النملة بعد هذا إلى سليمان لكي تشكره.. فحملتها الريح ثم ألقتها بين يديه.. وهناك قال لها سيدنا سليمان: لم حذرت النمل.. أخفت من ظلمي.. أما علمت أنني نبيٌ عدلٌ؟.. فقالت له: أما سمعتَ قلبي: «وهم لا يشعرون» ثم قالت: مع أنني لم أُرِدْ حَطْمَ النفوس، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أُعْطِيت، يَفْتَتِنَ بالدنيا ويشْتَغِلْنَ بالنظر إليك عن التسبيح والذكر.

** فلاحظ كل هذا أننا الإسلام حتى لا تكون من المشار إليهم في الآية الأولى.. فتكون بهذا والعياذ بالله من الخاسرين.

** هذا، مع ملاحظة كذلك أن هذه الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.. لا تساوي تسبيحة واحدة لله رب العالمين.. وقد قرأت حول هذا المعنى أن سيدنا سليمان عليه السلام.. كان ذات يوم - وبعد أن استمع من النملة إلى ما وقفنا عليه - يركب البساط الذي كان يحمله الريح.. وكان حوله الأهل والأتباع..

(١) النمل : ١٨، ١٩.

بل والطيور من كل اتجاه.. فمر بموكبه فوق حقل لفلاح يحترث في أرضه.. فلما نظر الفلاح إلى أعلى ورأى الموكب العظيم هذا.. قال: (سبحان من أعطاكم مُلكاً يا آل داود) فنقل الريح الكلمة هذه ووضعها في أُذُنِ سليمان عليه السلام.. الذى أمر الريح بأن ينزل بالبساط في حقل هذا الفلاح.. الذى فوجئ بالموكب فى حقله.. ثم ناداه سليمان وطلب منه أن يقول الكلمة التى قالها مرة أخرى.. فقال: قلت: (سبحان مَنْ أعطاكم مُلكاً يا آل داود)، فعند ذلك قال له سيدنا سليمان: (أما علمتَ يا هذا أن تسبيحةً واحدة منك خير من مُلك آل داود).

فإذا كان هذا بالنسبة لتسبيحة واحدة.. فما بالك بالشهادتين، أو الصلاة، أو الزكاة، أو الصيام، أو الحج.. أو القرآن الكريم، وتفسيره، والأذكار الواردة عن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.. والتى قال النبى ﷺ مرغباً فيها:

عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

(رواه الشيخان والترمذى)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: أحبُّ إلىَّ مما طلعت عليه الشمس».

(رواه مسلم والترمذى)

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مَنْ قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرِسَتْ له نخلة فى الجنة».

(رواه الترمذى وحسنه)

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: «أينا يطيق ذلك يا رسول الله: فقال ﷺ: «الله الواحد الصمد ثلث القرآن».

(رواه البخارى ومسلم والنسائى)

هذا بالإضافة إلى الحفظ والثواب المشار إليه في الحديث الآتى:

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة: كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك».

(رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه)

وزاد مسلم والترمذى والنسائى: «ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة: حطت خطاياهم ولو كانت مثل زبد البحر».

** إن الدنيا إذن: لا تُساوى شيئا بالنسبة لهذا الخير.. ولا يصح أن تقاس بكل هذا أو ببعض هذا..

فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بالسوق، والناس كَنَفَتِيهِ (١)، فَمَرَّ بِجَدِّي أَسْلَكُ مِيت (٢): فتناوله بأذنه، ثم قال: «أيكم يُحِبُّ أن هذا بدرهم؟» (٣) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال:

(١) أى: عن جانبيه.

(٢) الأَسْلَكُ: أى صغير الأذن.

(٣) وفي بعض الروايات: أن يكون له هذا بدرهم.

أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟، قالوا: واللَّهِ لو كان حَيًّا لكان عيباً فيه لأنه أَسَلٌ، فكيف وهو ميت؟ فقال: واللَّهِ للدُّنْيَا أَهْوَنُ (١) عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ.

(رواه مسلم)

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدُّنْيَا تُعَدَّلُ (٢) عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ».

(رواه ابن ماجه، والترمذى، وقال حديث حسن صحيح)

** ولله درُّ من قال :

هَبِ	الدُّنْيَا	تَوَا	تَيْكَا	أَلَيْسَ	المَوْتُ	يَأْتِيكَ؟
أَلَا	يَا	طَالِبُ	الدُّنْيَا	دَعِ	الدُّنْيَا	لِشَانِيكَ
إِلَى	كَمْ	تَطْلُبُ	الدُّنْيَا؟	وِظْلُ	المَيْلِ	يَكْفِيكَ

** ومع كل هذا التزهيد فى الدنيا.. فقد ورد التَّوْبُّ فى الإِكْتِسَابِ الحلال:

فعن المقدم بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنْ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».

رواه البخارى وغيره، وابن ماجه، ولفظه قال: «مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا

(١) أى : أشد هواناً وأحققر .

(٢) أى : تزن وتساوى.

أطيبَ من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة، .

يعنى : إذا احتسبه ونوى به الخير كما فى الحديث الآخر: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة» .

قال فى الزوائد: (فى إسناده إسماعيل بن عياش ورواه أبو داود والترمذى والنسائى) قلت لفظه عند النسائى: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وهو عنده من حديث عمرو بن شعيب، قال الماوردى: (أصول المكاسب: الزراعة، والتجارة، والصناعة، وأياها أطيب؟ فيه ثلاثة مذاهب للناس، وأشبهها مذهب الشافعى أن التجارة أطيب، والأشبه عندى أن الزراعة أطيب لأنها أقرب إلى التوكل).

قال النووى: (وحديث البخارى صريح فى ترجيح الزراعة والصناعة لكونهما عمل يده، لكن الزراعة أفضلهما لعموم النفع بها للأدمى وغيره وعموم الحاجة إليها) أ. هـ. عينى.

** وكان داود عليه السلام قد سأل الله عز وجل أن يعلمه حرفة يتعاش منها هو وأهله، فألان الله له الحديد، وعلمه صنعة الدروع التى تلبس فى الحرب.. قال تعالى: ﴿..وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ - أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٢).

(١) سورة سبأ : مِّنَ الْآيَةِ ١٠-١١ .

(٢) الأنبياء : الآية ٨٠ .

ومن أجمل ما قرأت في هذا الموضوع أيضاً : أن سليمان عليه السلام ناجى ربه فقال: يارب .. قد أعطيتني ما لم تعط أحداً قبلي، وسألتك أن لا تعطيه أحداً بعدى فأعطيتني، فإن قصرت في شكرك فدلّني على عبدٍ هو أشكر لك مني.. فأوحى الله تعالى إليه : ﴿ يا سليمان .. عبد يكسب بيديه يسد جوعه ويستر عورته ويعبدني هو أشكر لي منك.. ﴾ فقال : يارب.. اجعل كسبي في يدي. فأتاه جبريل عليه السلام، فعلمه الخوص يتخذ منه القفاف.. فأول من عمل الخوص سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

** فلاحظ كل هذا أخا الإسلام.. بالإضافة إلى هذا الحديث الآتي الذي أرجو أن يكون سبباً في حفظ كرامتك، واحترام نفسك.. وحتى تكون مرفوع الهامة بين الناس:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه» .

(رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي)

وليكن شعارك دائماً وأبداً هو قول علي كرم الله وجهه:

لَحْمِي الصَّخْرَ مِنْ قِمَمِ الْجِبَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَنَنِ الرِّجَالِ
يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الْكَسْبِ عَارٌ فَقُلْتُ الْعَارُ فِي ذُلِّ السُّؤَالِ

والله ولي التوفيق

** هذا.. وأما عن العنصر الثاني، من أركان الميراث الحمدي، وهو:

قراءة القرآن في المسجد

فالمراد تلاوته سرّاً أي بدون تشويش على نحو مُصل لأن هذا غير جائز شرعاً، بل وقد ورد النهي عنه:

فقد ورد أن النبي ﷺ، قال: «لا يجهر بعضهم على بعض بالقرآن».

وقال عليه الصلاة والسلام، للإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه:
«يا على.. لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك حيث يصلي الناس، فإن ذلك
يفسد عليهم صلاتهم».

وفى الدر المختار: يحرم رفع الصوت في المسجد إلا للمتفقهه.

وقال ابن العماد الشافعي رحمه الله: «تحرم القراءة جهراً على وجه يشوش
على نحو مصل».

وعلى هذا.. فإننا نستطيع أن نُشير هنا إلى ما ذكره صاحب كتاب «الإبداع
في مضار الابتداع»، حول موضوع:

قراءة صورة الكهف أو غيرها في المسجد

فقال - ما خلاصته - (من البدع) قراءة سورة الكهف يوم الجمعة بصوت
مرتفع وترجيع. كترجيع الغناء، والناس ما بين راكع وساجد وذاكر وقارئ،
متفكر، وناهيك ما يكون من العوام من رفع أصواتهم استحساناً لألحان القارئ من
غير مبالاة بحرمة المكان والقرآن، وهذا كله مذموم لا يحل لوجوه:

١ - أن فيه تهويشاً على المتعبدين وهو حرام بالإجماع.

٢ - في رفع الأصوات في المسجد لغير حاجة شرعية.

٣ - كونه مخالفاً لما كان في زمن النبي ﷺ وزمن أصحابه فمن بعدهم،
وصح أن أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن
لا سيما في المساجد، فإذا كان معه تهويش لا يشك في التحريم.

ثم يقول بعد ذلك فى الإبداع:

(نعم) .. ورد النص على فضل قراءة هذه السورة (الكهف)، ليلة الجمعة ويومها لكن ليس على هذا الوجه المعروف، بل يقرأ لنفسه فى بيته مطلقاً أو فى المسجد بدون رفع الصوت.

وفى قرّة العين وشرحها فتح المعين للعلامة زين الدين الشافعى، ما نصه:

ويكره الجهر بقراءة الكهف وغيرها إن حصل به تأذ لمصل أو نائم كما صرح به النووى فى كتبه.

وقال شيخنا فى شرح العباب: ينبغى حرمة الجهر بالقراءة فى المسجد، وحمل كلام النووى على ما إذا خيف التأذى وعلى كون القراءة فى غير المسجد.

وكتب الحنفية والحنابلة والمالكية صريحة فى أن قراءة السورة على هذه الكيفية المعتادة ممنوعة، هذا إلى ما يكون من إغراض الناس عن استماعها لاسيما إذا كان القارئ غير حسن الصوت فيقعون فى الحرج، ويقع القارئ فى جريمة تعريض القرآن للإهانة.

ومعلوم أن احترام القرآن واجب فلا يقرأ فى الأسواق ومواضع الإشتغال، فإذا قرأ فيها كان هو المضيع لحرمة، وكان الإثم عليه دون أهل الإشتغال دفعاً للحرج.

وقد أشار كذلك فى الدين الخالص ج ٣ ص ٣١٥ إلى أدلة حرمة رفع الصوت فى المسجد، فقال:

أدلة حرمة رفع الصوت فى المسجد

ولا يجوز رفع الصوت فى المسجد ولو بالقرآن والذكر:

لقول أبي سعيد الخدري: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر، وقال: «ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذین بعضکم بعضاً، ولا یرفع بعضکم علی بعض فی القراءة» .

(الحديث أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين) .

ولحديث وائلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراةكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم» .

(أخرجه ابن ماجه والمنذرى بسند فيه الحارث بن نبهان، متفق على ضعفه. وأخرجه عبد الرزاق من طريق آخر عن معاذ بن جبل) .

ولحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال «إن المصلی یناجی ربه عز وجل فلینظر بم یناجیه ؟ ولا یجهر بعضکم علی بعض بالقرآن» .

(أخرجه أحمد والبزار والطبرانی بسند صحيح)

ولحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قال: « لا یجهر بعضکم علی بعض بالقراءة» .

(رواه الخطيب)

ثم يقول بعد ذلك في الدين الخالص (١):

وقد أنكر بعض الصحابة والتابعين على من رفع صوته في المسجد بقراءة أو ذكر:

(١) بتصرف وتلخيص.

قال السائب بن يزيد: كنت مضطجعاً في المسجد فحصبني رجل فرفعت رأسي فإذا عمر رضي الله عنه، فقال: اذهب فأنتي بهذين الرجلين، فجئت بهما، فقال: من أين أنتما؟ من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد ما فارقتماني حتى أوجعتكما جلداً، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟.

(أخرجه البخاري)

وروى عن سعيد بن المسيب، أنه كان في المسجد آخر الليل يتعبد، ثم دخل عمر بن عبد العزيز، وكان حسن الصوت فجهر بالقراءة، فلما سمعه سعيد بن المسيب قال لخدمته: اذهب إلى هذا المصلي فقل له: إما أن تخفض من صوتك، وإما أن تخرج من المسجد، ثم أقبل على صلاته، فجاء الخادم فوجد المصلي عمر بن عبد العزيز فرجع، ولم يقل له شيئاً، فلما سلم سعيد قال لخدمته: ألم أقل لك تنهى هذا المصلي عما يفعل؟ فقال: هو الخليفة عمر بن عبد العزيز. قال: اذهب إليه وقل له ما أخبرتك به، فذهب إليه فقال له: إن سعيداً يقول لك: إما أن تخفض من صوتك، وإما أن تخرج من المسجد، فخفف في صلاته، فلما سلم منها أخذ نعليه وخرج من المسجد.

وروى ابن أبي شيبة بسند جيد عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب اتخذ مكاناً إلى جانب المسجد، يقال له «البطيحاء»، وقال: من أراد أن يغلط، أو يرفع صوتاً، أو ينشد شعراً، فليخرج إليه.

ثم يقول: وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء.

قال في الدر المختار: يحرم في المسجد رفع الصوت بذكر إلا للمتفقهه.. أ.هـ.

فعلى الأخ المسلم، أن يلاحظ كل هذا وهو فى المسجد إذا أراد أن يقرأ قرآناً.
وعليه كذلك إذا أراد أن يواظب على التلاوة: أن يعرف على الأقل بعض
ماورد فى :

فضل تلاوة القرآن فى الصلاة وغيرها

وفضل تعلمه وتعليمه

فمن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال : «ما اجتمع قوم
فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه (١) فيما بينهم
إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم
الله فيمن عنده» (٢).

(رواه مسلم وأبو داود وغيرهما)

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل
المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة (٣) ريحها طيب، وطعمها طيب،
ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو،
ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر،
ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن: كمثل الخنظل (٤) ليس لها ريح،
وطعمها مر».

وفى رواية : «مثل الفاجر: بدل: المنافق».

(رواه البخارى ومسلم، والنسائى، وابن ماجه)

(١) أى يتدبرون معانيه ويفهمون أغراضه ومرامييه.

(٢) أى أثنى عليهم سبحانه فى الملاء الأعلى تنويهاً بفضلهم وعلو درجتهم.

(٣) هى ثمرة جمعت بين حلاوة الطعم وطيب الرائحة.

(٤) هى ثمرة تشبه صغار البطيخ ولها شديدة المرارة.

وعن عائشة رضى الله عنها، قالت : قال رسول الله ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران» .

وفى رواية : «والذى يقرأه، وهو يشتد عليه (١) له أجران» .

(رواه البخارى، ومسلم واللفظ له، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه) .

قال النووى: السفرة: جمع سافر ككتاب وكتبة، والسافر: الرسول، والسفرة: الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله، وقيل: السفرة الكتبة، والبررة: المطيعون من البر وهو الطاعة، والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه.

قال القاضى: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة: أن له فى الآخرة منازل يكون فيه رفيقاً للملائكة السفرة لإتصافه بصفاتهم من حمل كتاب الله تعالى، قال: ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم.

وأما الذى يتتعتع فيه، فهو الذى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه، فله أجران: أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه فى تلاوته ومشقته.

قال القاضى وغيره من العلماء: وليس معناه أن الذى تتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به (فالماهر به) أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه، والله أعلم.. اهـ.

وعن أبى ذر رضى الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله أوصنى (٢). قال :

(١) أى تثقل عليه القراءة لعدم حفظه وإتقانه.

(٢) أى أعهد إلى بشئ أتمسك به وأحرص عليه.

«عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله». قلت: يا رسول الله.. زدني.
قال: «عليك بتلاوة القرآن»^(١)، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في
السماء»^(٢).

(رواه ابن حبان في صحيحه في حديث طويل)

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «القرآن شافع مشفع»^(٣)،
وما حل مصدق^(٤)، من جعله أمامه^(٥) قاده إلى الجنة^(٦)، ومن
جعل خلف ظهره^(٧) ساقه إلى النار

(رواه ابن حبان في صحيحه)

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ،
يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٨)...
الحديث.

(رواه مسلم)

وعن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «من

(١) أي واظب على تلاوته مع التدبر والفهم واجعل ذلك أهم ما تحرص عليه.

(٢) أي أن ثواب قراءتك يدخر لك عند الله عز وجل.

(٣) أي أنه يشفع لأهله يوم القيامة كما تشفع الرسل والأنبياء والملائكة والصديقون
والشهداء، وقوله (مشفع) : أي إذا أذن له في الشفاعة.

(٤) ما حل: أي ساع، وقيل: خصم مجادل. وفي الدعاء: (ولا تجعله علينا ماحلاً مصدقاً).

(٥) أي ائتم به واتبع وصاه واتخذ له قدوة.

(٦) أي سيار أمامه حتى يدخله الجنة بإرشاده إلى كل ما يوصل إليها.

(٧) أي أهمل العمل به ولم يرفع به رأساً ونبذه وراء ظهره.

(٨) أي لأهله الذين كانوا يعملون بما فيه مع تلاوته.

قرأ القرآن، وعمل به ألبس والداه تاجاً (١) يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا، فما ظنكم بالذى عمل بهذا.

(رواه أبو داود، والحاكم، كلاهما عن زبان عن سهل، وقال الحاكم : صحيح الإسناد)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «يجي صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يارب حله.. فيلبس تاج الكرامة ثم يقول: يارب زده.. فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يارب.. ارض عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويزداد بكل آية حسنة».

(رواه الترمذى وحسنه وابن خزيمة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق (٢)، ورتل كما كنت تترتل (٣) في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها».

(رواه الترمذى، وأبو داود، وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذى حسن صحيح)

* قال الخطابى: جاء فى الأثر أن عدد آى القرآن على قدر درج (٤) الجنة، فيقال للقارئ: ارق فى الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى (٥) درج الجنة فى الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه فى الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة.

(١) وهو الاكيل الذى يجعل على رأس الملوك مرصعا بالجواهر.

(٢) أمر من الرقى وهو الصعود.

(٣) الترتيل هو القراءة بتؤدة وتمهل.

(٤) جمع درجة، وهى الواحدة من السلالم التى يصعد إليها.

(٥) يعنى أبعد وأعلى.

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال : «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه (١) غير أنه لا يوحى إليه (٢) لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد (٣) ولا يجهل مع من جهل (٤)، وفي جوفه كلام الله، (٥)» .

(رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد)

وعن بريدة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به (٦) ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والده حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن،

(رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم)

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبي ﷺ، قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

(رواه البخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه وغيرهم)

قال (٧) فى الترغيب والترهيب معلقاً على هذا الحديث: لاشك أن القرآن العظيم هو كلام الله الذى خرج منه، ثم أنزله وحياً بواسطة الروح الأمين (٨)

(١) أى جعلها مندرجة وداخلية بين جنبيه.

(٢) أى لا ينقصه من النبوة إلا الوحى.

(٣) يعنى لا يغضب مع من غضب.

(٤) أى لا يسفه ويحتمق ويسرع إليه الغضب.

(٥) أى لا ينبغي أن يفعل ذلك فى حال وجود كلام الله فى جوفه.

(٦) أى أحل حلاله وحرم حرامه ووقف عند حدوده وتأدب بأدابه.

(٧) وهو الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله.

(٨) أى الأمين جبريل عليه السلام.

على قلب عبده محمد ﷺ لينذر به من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، فلن يتقرب متقرب إلى الله بأحب إليه من تلاوة القرآن، وتدبره ومدارسته ثم تعليم ذلك لغيره:

ففي الحديث الحث على تعلم القرآن وتعليمه، وقد سئل الثوري - رحمه الله - عن الجهاد وإقراء القرآن، فرجح الثاني واحتج بهذا الحديث - قاله في الفتح.

قال الشرقاوى: لا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى.

وأخيركم، في الحديث أفعال تفضيل بمعنى أخيركم، أى أكثركم نفعاً وأرفعكم منزلة، وتعلم القرآن يدخل فيه حفظه وتجويده وإقامة حروفه وإعرابها، ويدخل فيه كذلك مدارسته وتفهم معانيه وتدبر آياته ومعرفة المقاصد الأساسية التي نزل من أجلها ومعرفة أحكامه وحلاله وحرامه... الخ.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً (١) من كتاب الله (٢) فله به حسنة (٣)، والحسنة بعشر أمثالها (٤)، لا أقول ألم حرف (٥)، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»

(رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح غريب)

(١) الحرف واحد الحروف التي تتألف منها الكلمات.

(٢) يعنى القرآن وسمى كتاباً باعتبار أنه مكتوب.

(٣) وهى إحدى الحسنات يعنى الأعمال الصالحة.

(٤) أى يكون له بكل حرف ثواب عشر حسنات.

(٥) يعنى أن قارئ «ألم» له به ثلاثون حسنة وفضل الله أوسع.

**** هذا بالإضافة إلى أن هناك سور من القرآن لها أفضلية خاصة، فإليك بعض ما ورد في هذا من أحاديث شريفة:**

قراءة سورة الفاتحة وما ورد في فضلها

عن أنس رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ في مسير^(١)، فنزل ونزل رجل إلى جانبه^(٢)، قال: فالتفت النبي ﷺ، فقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟ قال: بلى: .. فتلا: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾.

(رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة^(٣) بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدى ما سأل».

وفي رواية (فنصفها لى ونصفها لعبدى، فإذا قال العبد: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾. قال الله: حمدنى عبدي، فإذا قال: ﴿ الرحمن الرحيم ﴾. قال: أثنى على عبدي، فإذا قال: ﴿ مالك يوم الدين ﴾. قال: مجدنى عبدي، فإذا قال: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾. قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدى ما سأل، فإذا قال: ﴿ إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾. قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل،.

(رواه مسلم)

(١) أى في سفر.

(٢) لم يعرف اسم الرجل.

(٣) يعنى الفاتحة وسميت الصلاة لأنها جزء منها فهو من تسمية الجزء باسم الكل.

قراءة سورة البقرة و آل عمران

وما جاء فيمن قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيها :

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لاتجعلوا بيوتكم مقابر» (١) : إن الشيطان يفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة،

(رواه مسلم، والنسائي، والترمذى وقال : حسن صحيح وكذلك رواه الإمام أحمد كلهم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: بينما جبرائيل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً (٢) من فوقه فرفع رأسه (٣)، فقال: هذا باب من السماء فتح لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم (٤)، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة (٥)، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته (٦).

(رواه مسلم، والنسائي، والحاكم)

* وعن أبي أمامة الباهلي رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين (٧) : البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة

(١) المعنى: لا تجعلوها كالأماكن الخربة المهجورة بخلوها من الذكر وقراءة القرآن.

(٢) أى صوتاً.

(٣) والضمير لجبرائيل عليه السلام.

(٤) أى الملك النازل من السماء على النبي ﷺ.

(٥) أى من قوله تعالى: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه .. ﴾ (البقرة: ٢٨٥) إلى آخر السورة.

(٦) أى إلا أعطاك الله ما سألت فيه.

(٧) ثنية زهراء، أنشئ الأزهر قال النووي: سميتا بذلك لنورهما وهديتهما وعظيم أجرهما.

كأنهما غمامتان^(١) - أو غيابتان - أو كأنهما فرقان من طير صواف^(٢) تخاجان عن أصحابهما^(٣) . اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة^(٤)، ولا تستطيعها البطلة.

قال معاوية بن سلام: بلغني أن البطلة: السحرة (رواه مسلم)

* وعن أبي ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم، فإنهما: صلاة، وقرآن، ودعاء،

(رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط البخارى، وكذلك رواه الإمام أحمد بعضه بلفظ:

«أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلى» .

وكذلك رواه ابن مردويه إلى قوله : «تحت العرش»

وعن عبيد بن عمير رضى الله عنه أنه قال لعائشة رضى الله عنها : أخبرينا بأعجب شئ رأيته من رسول الله ﷺ . قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «يا عائشة.. ذرينى^(٥) أتعبد الليلة لربى». قلت: والله إنى أحب قريبك، وأحب مايسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلى. قالت: فلم يزل ييكى حتى بل حجره^(٦) . قالت: وكان جالساً فلم يزل ييكى

(١) تشية غمامة.

(٢) يعنى باسقاط أجنحتها فى الهواء.

(٣) أى تجادلان وتدافعان عنهم.

(٤) أى أن تركها وإهمالها يعود عليه بالحسرة.

(٥) أى اتركىنى.

(٦) بكسر فسكون: حضن الإنسان وهو ما بين الساعدين يعنى الصدر إلى السرة.

ﷺ حتى بَلَ لحيتَه. قالت: ثم بكى حتى بَلَ الأرض، فجاء بلال يُؤذنه (١) بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله.. تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال «أفلا أكون عبداً شكوراً» (٢)؟. لقد نزلت (٣) على الليلة آية.. ويل (٤). لمن قرأها، ولم يتفكر فيها (٥): ﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية. وهي قوله تعالى:

﴿إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦).

(والحديث رواه ابن حبان في صحيحه وغيره)

قراءة آية الكرسي وما جاء في فضلها

* عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر (٧) .. أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟ قلت: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» (٨) قال: فضرب في صدري، وقال «ليهنك» (٩) العلم أبا المنذر

(رواه مسلم وأبو داود)

(١) أى يعلمه.

(٢) صيغة مبالغة من الشكر.

(٣) وفي رواية (أنزلت).

(٤) يعنى عذاب وهلاك، وقيل: واد فى جهنم.

(٥) أى لم يتدبر فيما اشتملت عليه من الحجج والبراهين.

(٦) البقرة : ١٦٤.

(٧) كنية أبى رضى الله عنه.

(٨) البقرة : ٢٥٥.

(٩) تهنئة له بما وصل إليه من علم الكتاب.

وورد فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه: «لكل شىء سنام» (١)،
وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هى سيدة القرآن،

(رواه الترمذى، ولفظ الحاكم)

«سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن، لا تُقرأ فى بيت، وفيه
شيطان إلا خرج منه: آية الكرسي».

قال فى الترغيب والترهيب (٢): وإنما كانت هذه الآية سيدة آى القرآن
لاشتمالها على جملة كبيرة من صفات الرب جل شأنه فى الإثبات وفى النفى،
فقد أخبر فيها سبحانه عن نفسه بأنه الله الذى لا معبود بحق فى الوجود كله
إلا هو، وأنه المتصف بالحياة الكاملة التى لا يلحقها موت ولا فناء، وأنه القائم
بنفسه المستغنى عن خلقه مع افتقارهم جميعاً إليه، وأنه لا تغلبه سنة أى: نعاس
ولا نوم، ثم أخبر عن تمام ملكه وسلطانه، وأنه له كل ما فى السموات والأرض،
وأن واحداً لا يجرؤ أن يشفع عنده إلا بإذنه، ثم أخبر عن إحاطة علمه وشموله
للأمور الماضية والمستقبلية، وأن الخلق لا يعلمون إلا ما أذن لهم أن يعلموه، وأن
كرسيه وسع السموات والأرض وما فيهما وأنه العلى الذى ثبت له وصف العلو
بكل معانيه: علو الذات، فهو على بذاته فوق جميع خلقه، وعلو الصفات،
فليس لغيره صفة تساوى صفته، وعلو القهر، فهو القاهر فوق عباده، وعلو القدر
والشرف، فهو الذى كمل فى سؤدده ومجده وأنه العظيم الذى لا حدَّ
لعظمته:

(١) وهو أعلى شىء فيه.

(٢) تعليقا على الهامش ج ٢ ص ٦٢٢.

فلا غرو إذن أن كانت هذه الآية العظيمة، هي أعظم آية في كتاب الله عز وجل.

قراءة سورة الكهف وما جاء في فضلها

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «من قرأ الكهف كما أنزلت، كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة (١) ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه (٢) ومن توطأ، ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت.. أستغفرك وأتوب إليك: كتبت في رق، ثم طبع بطابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة».

(رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ، قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف (٣) عصم من الدجال».

(رواه مسلم واللفظ له)

ورواه أبو داود والنسائي، وعندهما: «عصم من فتنة الدجال». وهو هكذا في بعض نسخ مسلم.

وفي رواية لمسلم وأبي داود: «من آخر سورة الكهف، (٤)».

(١) أي أن امتداد هذا النور يكون بقدر المسافة بين المكان الذي قرأها فيه وبين مكة.

(٢) أي لم يتمكن من فتنته.

(٣) يعني من أول سورة الكهف إلى قوله تعالى «وهي لنا من امرنا رشدا» (الكهف: ١٠).

(٤) أي من قوله تعالى «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى» (الكهف: ١٠١) إلى آخر السورة.

وفى رواية للنسائي : «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف، .
ورواه الترمذى ولفظه: «من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عَصِمَ من
فتنة الدجال، .

* وقد ورد كذلك فى فضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، وليلة الجمعة،
أحاديث شريفة، فإليك بعضها:

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ، قال: «من قرأ سورة
الكهف فى يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين، (١) .

(رواه النسائي والبيهقى مرفوعاً، الحاكم مرفوعاً وموقوفاً أيضاً. وقال: صحيح
الإسناد، ورواه الدارمى فى مسنده موقوفاً على أبى سعيد، ولفظه قال: «من قرأ
سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت
العتيق، (٢) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : «من قرأ
سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان (٣)
السماء يُضيء له يوم القيامة وغُفر له ما بين الجمعتين، .

(رواه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره بإسناد لا بأس به)

(١) يعنى أن الله عز وجل يرزقه نوراً فى قلبه يهديه ويسدده إلى الجمعة التى بعدها، قال فى
الجامع الصغير: فيندب قراءتها يوم الجمعة وكذا ليلتها، نص عليه الشافعى.

(٢) أى البيت الحرام.

(٣) العنان : السحاب.

**** وإتماما للفائدة إليك كذلك هذه الأحاديث:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غُفر له».

وفي رواية: «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

(رواه الترمذى والأصبهاني، ولفظه: «من صلى بسورة الدخان في ليلة بات يستغفر له سبعون ألف ملك»).

ورواه الطبراني، والأصبهاني أيضاً من حديث أبي أمامة، ولفظهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة - أو يوم الجمعة - بنى الله له بيتاً في الجنة».

وروى عنه رضي الله عنه، قال: رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غُفر له».

(رواه الأصبهاني)

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى عليه الله وملائكته حتى تغيب الشمس».

(رواه الطبراني في الأوسط والكبير) (١).

(١) قال في شرح الجامع الصغير: إسناده ضعيف.

قراءة سورة يس وما جاء في فضلها

عن معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «قلب (١) القرآن يس لا يقرؤها رجل يُريد الله والدار الآخرة إلا غفر له، اقرأوها على موتاكم» (٢).

(رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، واللفظ له، وابن ماجه والحاكم وصححه).

وروى عن أنس رضى الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات».

زاد في رواية: دون يس.

(رواه الترمذى، وقال: حديث غريب)

وعن جندب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غُفر له».

(رواه مالك، وابن السنن، وابن حبان في صحيحه)

(١) يعنى أنها منه بمنزلة القلب للإنسان.

(٢) قال ابن كثير: ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسره الله تعالى، وكأن قراءتها عند الميت لتتزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح.. والله تعالى أعلم.. قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان، قال: كان المشيخة يقولون: إذا قرئت يعنى يس عند الميت خفف الله عنه بها.

قراءة سورة « تبارك الذى بيده الملك »

وما جاء فى فضلها

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ، قال: «إن سورة فى القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غُفر له» (١)، وهى «تبارك الذى بيده الملك».

(رواه أبو داود، والترمذى وحسنه واللفظ له، والنسائى، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال: صحيح الإسناد).

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباء، (٢) على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله.. ضربت خبائى على قبر، وأنا لا أحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فقال النبى ﷺ: «هى المانعة» (٣)، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر.

(رواه الترمذى وقال: حديث غريب)

١٠٦ وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أنها فى قلب كل مؤمن - يعنى: «تبارك الذى بيده الملك»».

(رواه الحاكم، وقال: هذا إسناده عند اليمانيين صحيح)

(١) يعنى أن هذا الرجل كان يكثر من قراءتها فلما مات شفعت له عند الله أن يمحو عنه ذنوبه وخطايا فاستجاب الله شفاعتها فيه وغفر له بسببها.

(٢) الخباء ما يصنع من وبر أو صوف أو شعر للسكن.

(٣) يعنى أنها تمنع عن صاحبها عذاب القبر.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: «يؤتى الرجل في قبره (١) فتؤتى رجلاه، فتقول: ليس لكم على ما قبلى سبيل (٢) كان يقرأ سورة الملك، ثم تؤتى من قبل صدره، أو قال بطنه - فيقول: ليس لكم على ما قبلى سبيل كان يقرأ فى سورة الملك، ثم يؤتى من قبل رأسه، فيقول: ليس لكم على ما قبلى سبيل، كان يقرأ فى سورة الملك، فهى المانعة تمنع عذاب القبر، وهى فى التوراة سورة الملك (٣) من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطيب، (٤)» .

(رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وهو فى النسائى مختصراً) .

«من قرأ : ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ كل ليلة منعه الله عز وجل بها من عذاب القبر، وكنا فى عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها فى كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها فى كل ليلة فقد أكثر وأطاب»

...

قراءة ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ وما يذكر معها

عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين (٥): فليقرأ ﴿ إذا الشمس

(١) أى تأتية الملائكة الموكلون بعذاب أهل القبور.

(٢) أى ليس لكم طريق إلى تعذيب ما هو قبلى أى : جهتى وناحيتى.

(٣) يعنى أنها مسماه فى التوراة بهذا الاسم.

(٤) أى فقد قدم خيراً كثيراً طيباً.

(٥) يعنى كأنه يراه ويشاهده بعينه.

كُورِت» (١) و«إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» (٢) و«إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ» (٣) .

(رواه الترمذى وغيره، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد)

قراءة ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ وما يذكر معها

عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ :
تعدل نصف القرآن (٤) و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ : تعدل ثلث القرآن (٥) ،
و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ : تعدل ربع القرآن (٦) ،

(رواه الترمذى والحاكم كلاهما عن يمان بن المغيرة العنزى وقال الترمذى
حديث غريب.. وقال الحاكم : صحيح الإسناد).

قراءة ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

عن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : «أَلَا يَسْتَطِيعُ
أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيَةٍ كُلَّ يَوْمٍ؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أَمَّا
يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾» .

(رواه الحاكم عن عقبة بن محمد عن نافع عن ابن عمر، ورجال إسناده
ثقات إلا أن عقبة لا أعرفه).

(١) أى سورة التكويد.

(٢) أى سورة الإنفطار.

(٣) أى سورة الإنشقاق.

(٤) أى فى الشواب.

(٥) وذلك لاشتغالها إجمالاً على عقائد القرآن.

(٦) وذلك لما فيها من البراءة من الكفار وعبادتهم.

قراءة ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وما جاء في فضلها

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾. فقال رسول الله ﷺ: «وجبت»، فسألت: ماذا يا رسول الله؟ فقال: «الجنة»، فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره (١)، ثم فرقت (٢) أن يفوتني الغداء مع رسول الله ﷺ، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب. (رواه مالك واللفظ له الترمذي وليس عنده قول أبي هريرة: فأردت .. إلى آخره، وقال: حديث حسن صحيح غريب، والنسائي، والحاكم وقال: صحيح الإسناد) وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا» (٣) فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد (٤)، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ: ﴿ قل هو الله أحد ﴾. ثم دخل، فقال لبعضنا لبعض: إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء فذلك الذي أدخله، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن، (٥).

(رواه مسلم، والترمذي، وقال: حسن صحيح غريب) وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ، بعث رجلاً على سرية (٦)، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ (٧)، فلما

(١) أي أعلمه بتلك البشارة السارة.

(٢) فرقت بكسر الراء: أي خفت أن يفوتني تناول الطعام.

(٣) أي اجتمعوا.

(٤) يعني اجتمع من اجتمع.

(٥) وأكد الجملة بالألا الاستفتاحية وبأن لدفع كل توهم وإنكار.

(٦) السرية: هي القطعة من الجيش أو الجيش الصغير وتسمى الكتيبة أيضاً وهي في العادة نحو ٤٠٠ جندي.

(٧) يعني بعد أن يقرأ السورة يختم القراءة بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾، ثم يركع.

رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه لأى شيء يصنع ذلك»^(١)، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ:

«أخبروه أن الله يحبه»^(٢)

(رواه البخارى، ومسلم والنسائى)

ورواه البخارى أيضا والترمذى عن أنس أطول منه، وقال فى آخره: فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «يا فلان.. ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة؟» فقال: إني أحبها، فقال «حبك إياها أدخلك الجنة»:

هذا الحديث^(٢): رواه البخارى تعليقا مجزوماً به فى كتاب الصلاة، فقال: وقال عبيد الله يعنى ابن عمر عن ثابت عن أنس رضى الله عنه، قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم فى مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ ﴿قل هو الله أحد﴾، حتى يفرغ منها، ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك فى كل ركعة. فكلمه أصحابه، فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تُجزئك حتى تقرأ بالأخرى، فيما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى. فقال: ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أوكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه، فقال: «يا فلان... الخ. الحديث.

(١) أى ما الذى دعاه لأن يفعل ذلك.

(٢) لأنه فعل ما يوجب محبة الله عز وجل وهو محبته لقراءة السورة المتضمنة لصفات الرب جل شأنه ومحبة الله للعبد صفة له سبحانه على ما يليق به تقتضى إكرامه وإبائه وتقريبه.

(٣) كما يقول معلقا فى الترغيب والترهيب هامش ج ٢ ص ٦٤٩.

قراءة المعوذتين

عن عقبة رضى الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن» ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾.

(رواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود، ولفظه قال: كنت أقود برسول الله ﷺ فى السفر^(١)، فقال: «يا عقبة.. ألا أعلمك خير سورتين قرئتا، فعلمنى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾. فذكر الحديث.

وفى رواية لأبى داود، قال: بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة^(٢) والأبواء^(٣) إذ غَشِيَتْنَا^(٤) ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: «يا عقبة.. تعوذ بهما، فما تعوذ متعوذ بمثلهما». قال: وسمعتة يؤمنا بهما فى الصلاة.

وزواه ابن حبان فى صحيحه، ولفظه:

قلت يا رسول الله أقرئنى آياً من سورة هود، وآياً من سورة يوسف^(٥)، فقال النبى ﷺ: «يا عقبة بن عامر.. إنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله، ولا أبلغ عنده من أن تقرأ: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، فإن استطعت أن لا تفوتك فى الصلاة، فافعل».

(١) أى كان يقود بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر من الأسفار.

(٢) الجحفة: هى ميقات أهل الشام، وهى بلدة شديدة الوباء.

(٣) والأبواء: قرية بين مكة والمدينة تنسب إلى جبل هناك.

(٤) أى أحاطت بنا.

(٥) وفى رواية النسائى: «أقرئنى سورة هود أو سورة يوسف».

(رواه الحاكم بنحو هذا، وقال: صحيح الإسناد، وليس عندهما ذكر: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾.

* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا جابر، فقلت: وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ و﴿قل أعوذ برب الناس﴾. فقرأتها^(١)، فقال «اقرأ بهما^(٢)» ولن تقرأ بمثلهما،

(رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه)

وذلك^(٣).. لأن هاتين السورتين قد اشتملتا على كل ما يستعاذ بالله منه مما يتوقع شره أو أذاه، ففي السورة الأولى يأمر الله نبيه، أن يقول: «أعوذ برب الفلق»^(٤) أي ألتجئ إليه وأحتمي به وأتحصن ﴿من شر ما خلق﴾ أي من شر كل ما فيه شر من خلقه، فهي جملة عامة تتناول كل شر من أي مخلوق، كما في الحديث «أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته»، ثم عطف على ذلك بعض الشرور الخاصة من باب عطف الخاص على العام، فقال ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أي ومن شر الليل إذا أقبل بظلمته فغطى الأشياء، ولا شك أن الليل مسرح لكثير من المؤذيات التي تجدد في ظلمته ستاراً تعمل تحته وتصيب من تصادفه، ففيه تخرج الهوام والسباع واللصوص وقطاع الطرق ومردة الجن وغير هؤلاء، ثم قال: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ والمراد بهم السحرة الذين يعقدون في سحرهم عقداً يتلون عليها رقى وعزائم ثم ينفثون فيها من ريقهم، والنفاثات جمع نفاثة، وهي صيغة مبالغة

(١) أي كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) أي دوام على القراءة بهما.

(٣) كما يقول في هامش الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٦٥٢.

(٤) الفلق: أي الصبح.

كعلامة والمراد الكثير النفث، أو المراد بها نفوس السحرة، ثم قال: «ومن شر حاسد إذا حسد» ولا شك أن الحاسد وقد أكل قلبه الغيظ على المسحود يجتهد ما وسعه الجهد في إزالة النعمة عنه.

وفي السورة الثانية: يأمره - سبحانه وتعالى - أن يعوذ برب الناس ومليكتهم والهمهم ومعبودهم من شر كل وسواس خناس من الجنة والناس.

ثم يقول: وعلى الجملة فهاتان السورتان العظيمتان لم تدعاً شيئاً مما ينبغي أن يستعاذ منه إلا ذكرناه إما تعييناً وإما دخولاً في العموم.

فلماذا ذكر الأخ المؤمن المعمر لبيوت الله والقارئ للقرآن الكريم كل هذا: حتى يجد ويجتهد في تلاوته، وحتى يكون من المنتفعين والنافعين بهذا الميراث الحمدي، الذي قال عنه صلوات الله وسلامه عليه، في حديث رواه الترمذي:

«كتاب الله .. فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: «إنا سمعنا قرآناً عجياً * يهدي إلى الرشد» ، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم».

هذا بالإضافة إلى ما قاله عنه الدكتور (موريس بوكاي الفرنسي):

(١) الجن: ١، ٢.

«إنه بمثابة ندوة علمية للعلماء، ومعجم لغة للغويين، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه، وكتاب عروض لمحِب الشعر وتهذيب العواطف، ودائرة معارف للشرائع والقوانين، وكل كتاب سماوى جاء قبله لا يُساوى أدنى سورة من سورهِ فى حسن المعانى وانسجام الألفاظ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الأمة الإسلامية يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب، واقتباساً لآياته: يُزينون بها كلامهم، ويبنون عليها آراءهم، كلما ازدادوا رفعة فى القدر، ونباهة فى الفكر، اهـ.

ومن هذا يتبين لك، أو يتأكد لك قيمة هذا الميراث العظيم الذى يدعو إلى العلم بأوسع معانيه، وأبعد حدوده، وأهم تلك العلوم التى يوحى بها القرآن الكريم (١):

١ - علوم اللغة العربية: وهذه يقتضيها حسن النظر فى كتاب الله، قال تعالى:

«إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (٢).

٢ - علوم الحيوان والتشريح والطب والنفس:

وهذه تقتضيها الدعوة إلى النظر فى النفس، والناس، والدواب، والأنعام، ويوحى بها الأمر باتخاذ الوقاية، قال تعالى:

«وفى أنفسكم أفلا تبصرون» (٣).

(١) كما جاء فى كتاب (التربية فى كتاب الله) للشيخ محمود عبد الوهاب فايد.

(٢) الزخرف: ٣ .

(٣) الذاريات: ٣١ .

– ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي
قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ
عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ * فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ ﴾ (١) .

– ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (٢) .

– ﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ ﴾ (٣) .

٣ – علوم الجيولوجيا والجغرافيا والفلك والحساب: وهذه توحى بها الدعوة
إلى النظر في الجبال وطبقات الأرض وأحوالها والدعوة إلى النظر في الشمس،
والقمر والأفلاك، والاهتداء بها في معرفة السنين والحساب..

قال تعالى:

– ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يَوْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ
رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * وَجَعَلْنَا
السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٤) .

– ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا

(١) المؤمنون: ١٢ – ١٤ .

(٢) البقرة : ١٩٥ .

(٣) النحل : ٦٦ .

(٤) الأنبياء : ٣٠ – ٣٣ .

عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون» (١).

٤ - علوم النبات: وهذه تقتضيها الدعوة إلى النظر فيما تنبت الأرض من زروع وأشجار، وثمار وأزهار..

قال تعالى :

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شرابٌ ومنه شجرٌ فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات * إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٢).

وقوله تعالى :

« وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوانٌ وغير صنوان يسقى بماءٍ واحدٍ ونفضل بعضها على بعض فى الأكل * إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » (٣).

٥ - علوم التاريخ والآثار: وهذه تقتضيها الدعوة إلى السير فى الأرض، وتعرف أخبار الأوائل، والإتعاظ بها..

قال تعالى :

« أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من

(١) يونس : ٥.

(٢) النحل : ١٠، ١١.

(٣) الرعد : ٤.

قبلهم كانوا أشدّ منهم قوةً وأثاروا الأرضَ وعمّروها أكثر مما عمّروها
وجاءتهم رسلهم بالبينات» (١).

ـ « أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم كانوا أكثر منهم وأشدّ قوةً وآثاراً في الأرض» (٢).

وللقرآن سبق في هذا.. فقد قص علينا أحسن القصص، وحدثنا عن أخبار
الرسل مع أتباعهم ..

قال تعالى:

ـ « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك
من قبل هذا» (٣).

وقوله تعالى:

ـ « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون» (٤).

٦ ـ علوم الجندية والجيش: ويقتضيها قوله تعالى:

ـ « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم» (٥).

(١) الروم : ٩.

(٢) غافر : ٨٢.

(٣) هود : ٤٩.

(٤) يوسف : ١١١.

(٥) الأنفال : ٦٠.

هذا هو القرآن نبراس الهدى دستورك الأسمى المنير المشرق
آياته نبع العلوم جميعها من قال لا فهو الغبي الأخرق
علم الطبيعة والحياة وحكمة الإيجاد من تبيانه تتدفق
وسياسة الدنيا بأقوم شرعة بين الورى بسواه لا تتحرك
فيه القضاء لحل كل قضية عن حلها أهل السياسة أخفقوا
عودوا إلى القرآن عودة باحث ترك الهوى والعقل حر مطلق
ونخذوا دساتير الحياة جميعها من آيه وعلى الخليفة أشفقوا
فهو الدواء لكل أدواء الورى وهو الطبيب لكل سقم صدقوا
فالغرب لما سار سار بنوره وعلا وقبل الغرب سار المشرق
يا قوم أحمد مجدكم قرآنكم فهو الكتاب العالمى الأصدق

- فليذكر الأخ المؤمن كل هذا، حتى يكون من أهل القرآن الكريم المتدبرين
فى آياته، وليكن كذلك من حفاظه حتى يكون من حملة هذا التراث العظيم:
وحسبه إن فعل ذلك أن يذكر نفسه دائماً وأبداً بهذين الحديثين الشريفين:

عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ، قال: **يُجِئُ صاحب القرآن
يوم القيامة فيقول يارب حُلِّهِ.. فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب
زِدْهُ، فيلبس حُلَّة الكرامة، ثم يقول: يارب ارض عنه، فيرضى، فيقول
له: اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة،**

(رواه الترمذى وقال: حديث صحيح)

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:

يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها،

(رواه أبو داود)

التروهيـب من نسيان القرآن بعد حفظه

وإذا كنت أذكره بذلك مبشراً بإياه، فإنني أوصيه كذلك إذا كان من حملة القرآن أن لا ينساه:

فعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَى أَجُورِ أُمَّتِي حَتَّى الْقَذَاةُ (١) يُخْرِجُهَا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَى ذُنُوبِ أُمَّتِي فَلَمْ أَرْ فِيهَا ذَنْباً أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيََهَا» (٢).

(رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة في صحيحه، كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس).

وعن سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ يقرأُ الْقُرْآنَ، ثُمَّ يَنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ أَجْذَمًا» (٣).

(رواه أبو داود عن يزيد بن أبي زيادة عن عيسى بن فائد عن سعد)

(١) القذاة: ما يقع في العين أو الشراب من تبنة ونحوها وجمعه قذى.

(٢) وهذا دليل على أن نسيان القرآن بعد حفظه كبيرة من الكبائر.

(٣) أى: وهو أجذم، كما في رواية أخرى.. والأجذم: هو المقطوع اليد أو الأنامل والمصاب بداء الجذام، وهو داء كالبرص يسبب تساقط اللحم (والعياذ بالله).

دعاء حفظ القرآن الكريم

وإذا كان الأخ المؤمن من الذين يتفلت القرآن من صدورهم، فليستعن بالله تعالى على تثبيتته في صدره بهذا الدعاء الوارد في هذا الحديث:

عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ جاءه على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: بأبى أنت^(١)، تفلت هذا القرآن من صدرى^(٢) فما أجدنى أقدر عليه، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا الحسن^(٣).. أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمت في صدرك؟ قال: أجل يا رسول الله.. فعلمنى قال: إذا كان ليلة الجمعة، فإن أستطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة^(٤)، والدعاء فيها مستجاب^(٥)، فقد قال أخى يعقوب لبنىه: سوف أستغفر لكم ربى^(٦)، يقول حتى تأتى ليلة الجمعة، فإن لم تستطع^(٧).. فقم في وسطها، فإن لم تستطع.. فقم في أولها^(٨)، فصل أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى: ب فاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية: ب فاتحة الكتاب، وحم الدخان، وفي

(١) تقديره: أفديك، وهى جملة دعائية.

(٢) أى انطلق منه وذهب كما يتفلت البعير من عقاله.

(٣) وهى كنية على رضى الله عنه، ولم يكن النبى من عادته أن يكنيه بذلك ولكن بأبى تراب.

(٤) أى يشهدا الله والملائكة.

(٥) لأنها وقت التنزل الالهى حيث ييسط سبحانه يده لعباده بالعطاء وإجابة الدعاء.

(٦) يقال أنه أمهلهم إلى وقت السحر لكى يكون الدعاء أرجى.

(٧) يعنى القيام فى الثلث الآخر.

(٨) أى فى أول الليل.

الركعة الثالثة: بفاتحة الكتاب، وألم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة: بفاتحة الكتاب، وتبارك المفصل (١)، فإذا فرغت من التشهد، فاحمد الله، وأحسن الثناء على الله، وصلِّ علىِّ وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفره للمؤمنين والمؤمنات، وإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدأ ما أبقيتني (٢) وارحمني أن أتكلف ما لا يعينني (٣) وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عنى.

اللهم بديع السموات والأرض (٤) ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام (٥) ..

أسألك يا الله يا رحمن بجلالك، ونور وجهك.. أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والاكرام، والعزة التى لا تُرام.. أسألك يا الله يا رحمن بجلالك، ونور وجهك ان تنور بكتابك بصرى، وأن تطلق به لسانى، وأن تفرج به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى، وأن تستعمل به بدنى (٦)، فإنه لا يُعيننى على الحق غيرك، ولا يؤتينيهِ إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

(١) يعنى «تبارك الذى بيده الملك».

(٢) أى مدة ابقائك اياى.

(٣) وفى الصحيح: «من حسن السلام المرء تركه مالا يعنيه».

(٤) أى مبدعها وموجدتها على غير مثال سبق.

(٥) أى لا تنال ولا تدرك ولا يلحقها ضيم ولاذل.

(٦) أى تستعمل بدنى فيما يأمر به القرآن من أنواع القربات والطاعات.

يا أبا الحسن.. تفعل ذلك ثلاث جمع، أو خمساً، أو سبعا، تُجَاب
بإذن الله، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمناً قط.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: فوالله ما لبث على إلا خمساً - أو
سبعا - حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله ..
إني كنت فيما خلا (١) لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسي
تَفَلَّتَنَ، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتهن على نفسي فكأنما
كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث، فإذا رددته تفلت، وأنا
اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً. فقال رسول الله ﷺ
- عند ذلك -: «مؤمن ورب الكعبة، يا أبا الحسن»..

(رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن
مسلم)

ورواه الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، إلا أنه قال: يقرأ فى الثانية
بالفائحة، وألم السجدة، وفى الثالثة: بالفائحة والدخان، عكس ما فى الترمذى،
وقال فى الدعاء: وأن تشغل به بدنى مكان: وأن تستعمل، وهو كذلك فى بعض
نسخ الترمذى، ومعناهما واحد، وفى بعضها: وأن تغسل (٢).

** هذا ولا يفوتنى فى نهاية هذا العنصر الثانى من أركان الميراث المحمدى:
إلا أن أذكرك وأذكر نفسي ببعض:

(١) يعنى فيما مضى.

(٢) قال المعلى رضى الله عنه: طريق أسانيد هذا الحديث جيدة، ومتمته غريب جداً، والله
أعلم.

الآداب والأحكام الفقهية المتعلقة

بتلاوة القرآن

والتي منها، أنه:

يستحب الوضوء لقراءة القرآن.. وقد كان النبي ﷺ يكره أن يذكر الله إلا على طهر، وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة وإن كان يجوز لهما النظر في المصحف.

* وتسن القراءة في مكان نظيف وأفضله المسجد، وأفضل المساجد، المساجد الثلاثة التي أخبر الرسول ﷺ بفضل الصلاة فيها على غيرها:

فقد روى البخاري ومسلم، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»، والأفضلية بالترتيب:

(أ) المسجد الحرام بمكة.

(ب) مسجد الرسول ﷺ بالمدينة.

(ج) المسجد الأقصى بالقدس.

ويلى هذا الفضل - بعد هذا الترتيب - مساجد الله جميعها كما يشير قول الله تعالى:

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ..(٢)﴾

(١) صحيح البخاري بكتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة، وصحيح مسلم كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

(٢) النور: ٣٦، ٣٧.

ويلحق بالمساجد، مكان صلاة الشخص فى أى مكان صلى فيه إذا أراد أن يقرأ بعد الصلاة القرآن.

* وتحرم القراءة فى أماكن قضاء الحاجة كالمراحيض والخراجات التى يتخذها الناس مبال، وكذا ما خصص لإلقاء القاذورات وخلافها.

* وتحرم القراءة فى أماكن اللهو والفجور كبيوت الدعارة وحانات الخمر.

* ويستحب أن يجلس القارئ مستقبلاً القبلة، متخشعاً بسكينة ووقار، مطرقاً رأسه.

* ويسن التعوذ قبل القراءة.

* ويسن المحافظة على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة براءة (١)، كما يستحب ذلك إذا قرأ من أثناء السورة.

* ويسن الترتيل فى قراءة القرآن.. وقد كانت قراءة الرسول ﷺ مفسرة.. حرفاً حرفاً، قال تعالى: ﴿.. ورتل القرآن ترتيلاً﴾ (٢).

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم.. فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تُشرح الصدور، وتُسْتَنير القلوب.. قال تعالى: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (٣).

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكى لمن لا يقدر على البكاء مع الحزن والخشوع.

قال تعالى: ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ (٤).

(١) وهى سورة التوبة.

(٢) المزمل : ٤.

(٣) محمد : ٢٤.

(٤) الإسراء : ١٠٩.

* ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها.. ففي الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(١).

* ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة.

* ويسن السجود عند قراءة آية السجدة، وهي أربع عشرة في السور الآتية:

١ - سورة الأعراف: آخر آية منها.

٢ - سورة الرعد: الآية: ١٥.

٣ - سورة النحل: الآية: ٤٩.

٤ - سورة الاسراء: الآية ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، والسجود بعد الآية ١٠٩ .

٥ - سورة مريم: الآية ٥٨.

٦، ٧ - سورة الحج، سجدتان في الآية ١٨، ٧٧.

٨ - سورة الفرقان: الآية ٦٠.

٩ - سورة النمل: الآية ٢٥ ، ٢٦ ، والسجود بعد الآية ٢٦ .

١٠ - سورة السجدة: الآية ١٥.

١١ - فصلت : الآية ٣٧.

١٢ - سورة النجم: آخر آية منها.

١٣ - سورة الإنشقاق: الآية ٢١.

١٤ - سورة العلق: آخر آية منها.

(١) رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه وهو حديث حسن أو صحيح.

* ويلحق بسجديات التلاوة: سجدة الشكر، وهى سجدة واحدة فى القرآن الكريم كله من سورة «ص»^(١)، وهى قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاستَغْفِرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾. وزاد بعضهم آخر سورة الحجر.

ودليل مشروعية.. سجدة التلاوة، من القرآن الكريم، قوله تعالى:

* ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

هذا فى شأن المؤمنين.. أما شأن الكافرين:

* ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾^(٣).

ومن السنة...، ما ورد فى صحيح مسلم:

* عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يقرأ القرآن فيقرأ السورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعاً لمكان جبهته.

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي! يَقُولُ: يَا وَيْلَتَا...! أَمَرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»

(أخرجه مسلم)

وفى رواية الترمذى: عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، قال:

— جاء رجل فقال يا رسول الله.. رأيتنى اليوم وأنا نائم كأنى أصلى خلف

(١) سورة ص : ٢٤

(٢) السجدة: ١٥

(٣) الانشقاق: ٢١

شجرة فسجدت فسجدت^(١) الشجرة لسجودى فسمعتها تقول: اللهم اكتب لى بها أجراً وحط عني بها وزراً واجعلها لى عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود.

قال ابن عباس: فسمعت رسول الله ﷺ قرأ فيها مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة.

* * *

* واعلم أن القراءة فى المصحف أفضل من قراءته حفظاً.. لأن النظر فيه عبادة مطلوبة.

* * *

** ويكره الآتى، وهو:

* قطع القراءة لمكاملة أحد.. لأن كلام الله تعالى لا ينبغى أن يؤثر عليه كلام غيره.

* ويكره الضحك والعبث والنظر إلى ما يلهى.

* ويكره التنكيس فى القراءة، كأن يقرأ مثلاً سورة «ألم نشرح» قبل سورة «الضحى».. وقد سئل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رجل يفعل ذلك، فقال: ذلك منكوس القلب.

ويكره الخلط بين سورة وسورة لأن ذلك ليس من آداب التلاوة، والأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف.

- ولا تجوز القراءة بالشاذ.. نقل ابن عبد البر الإجماع على ذلك.. وهى

(١) فسجدت فسجدت: الأولى بضم التاء والثانية بكسرها.

القراءة التى لم يشبتها قراء الأمصار.. مثل ابن كثير قارىء مكة، ونافع قارىء المدينة.. ولذلك قالوا: إنها ليست قرآناً ولا تصح بها الصلاة.

ومثال هذه القراءة الشاذة: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَحِّيكَ بِبَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ (١) بالحاء بدلاً من الجيم.. كما قال ابن الجزرى.

** والأوقات المختارة للقراءة، أفضلها:

* ما كان فى الصلاة، ثم الليل، ثم نصفه الأخير.. وهى بين المغرب والعشاء محبوبة، وأفضل أوقات النهار بعد صلاة الصبح.

* والمختار من الأيام: يوم عرفة، ثم يوم الجمعة، ثم يوم الاثنين والخميس.

* ومن الأعشار: العشرة الأخيرة من رمضان، والأول من ذى الحجة.

* ومن الشهور: رمضان.

* * *

** والأفضل أن تبدأ قراءته يوم الجمعة وتختمه ليلة الخميس، فقد روى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه كان يفعل ذلك.

والأفضل كذلك: ختمه أول النهار فى ركعتى الفجر، وأول الليل فى ركعتى سنة المغرب.

* ويسن صوم يوم الختم.. وأخرج الطبرانى عن أنس أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا

* * *

فليذكر الأخ المسلم كل هذا، وليكن منفذاً له، حتى يكون من أهل هذا الميراث العظيم، وحتى يكون من المنتفعين بهذا القرآن الكريم، وحسبه فى

(١) يونس: ٩٢ بلفظ: «تنجيك..»

النهاية، أن يتأمل معنى قول الهراوى رحمه الله، تحت عنوان «نحن نبغى القرآن» :

إن هذا القرآن يهـدى إلى الرشد	ويدعو لصالح الإنسان
نحن نبغى القرآن علماً وفهماً	يخلقان الكمال فى الشبان
نحن نبغى القرآن لفظاً ومعنى	فهو صقل الحجا ^(١) وصقل اللسان
نحن نبغى القرآن ديناً ودنيا	يتجلى فى هديه الحسنيان
نحن نبغى القرآن فى معهد الدر	س وفى كل منزل ومكان

* * *

هذا بالإضافة إلى أنه ثروة بلاغية، أشار إليها أحد الشعراء فى قوله:

الذكر آية ربك الكبرى التى	فيها لبغى المعجزات غناء
صدر البيان له إذا التقت اللغى	وتقدم البلغاء والفصحاء
نسخت به التوراة وهى وضیئة	وتخلف الانجيل وهو ذكاء
لما تمشى فى الحجاز حكيمة	قضت عكاظ به وقام حراء

* * *

نسأل الله تعالى: أن يهدينا جميعا بهداه.

** هذا، وإذا كان لى أن أضيف شيئاً هاماً، بعد أن وقفنا على كل هذا الخير المتعلق بالقرآن وأهم أحكامه. فإننى أرى أذكر هنا كذلك بأهم الآداب التى ينبغى على دارس القرآن فى مجالسه.. أن يلاحظها وينفذها.. كما جاء فى إحياء علوم الدين للإمام الغزالى.. وكما لخص هذا صاحب كتاب (كيف نتأدب مع المصحف)^(٢)، حيث يقول تحت عنوان:

(١) أى العقل.

(٢) وهو أخونا الشيخ محمد رجب فرجاني - أكرمه الله.

آداب المتعلم في مجلس الدرس

الصفة الأولى: تقديم طهارة النفس من رزائل الأخلاق ومذموم الأوصاف والعادات.. ومعنى هذا أن تعلم أن القرآن عبادته القلب، وصلاة السر، وقربة الباطن إلى الله تعالى.. وكما لا تصبح الصلاة إلا بالطهارة الظاهرة للبدن والملابس والمكان، فكذلك لا تصح العبادة الباطنة - عبادة القلب - إلا بطهارته من النفاق والمكر، والخبث، والحقد والحسد، والعداوة والبغضاء.. وهى نجاسات قلبية ونفسية وباطنية.. والقرآن الكريم كالزراع لا ينبت إلا فى التربة الخصبة الصالحة.. أما الأرض السبخة المريضة فلا ينبت فيها زرع، وإن نبت بعض الشيء لا ينمو، وإن نما لا يثمر، وإن أثمر لا يأتى بجيد الثمر.. فالقرآن لا ينبت ولا ينمو ولا يثمر إلا فى القلب الطيب الصالح الطاهر...

الصفة الثانية: أن لا تكون الدنيا ومطالبها أكبر همه، وكل شغله.. فيتخفف من علائقها.. وذلك لأنه جند نفسه وعقله لطلب علم القرآن.. ومادام كذلك وجب أن يكرس جهده، ويجمع همته على التحقيق والإجادة حتى يحصل له حفظه، بل ويتعدى مرحلة الحفظ إلى العمل به، كما علمنا ذلك سيدنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، فلقد قال: (كنا نحفظ العشر آيات فلا نتقل إلى ما بعدها حتى نعمل بهن).. وروى أنه حفظ سورة البقرة فى تسع سنين. وذلك لا للانشغال عن الحفظ أو رداءة الفهم.. ولكن بسبب التدقيق والتطبيق.. (وقد سأل الإمام الشافعى شيخه (وكيعاً): بم حصلت على العلم..؟ فقال: (بطول السهر، وافتراش المدر^(١))، والإستناد على الحجر) ثم أنشد قائلاً:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

الصفة الثالثة: أن لا يتكبر على العلم ولا على المعلم.. لأن العلم وخاصة

(١) المدر: أى التراب.

القرآن يضيع بين (الكبر والخزى والكسل) : فيجب أن يكون متواضعاً، لأن الكبر دافع إلى الأنفة من الناس، ومن أنف منهم بعد عنهم، ومن بعد عنهم انقطع به سبيل المعرفة، والخزى يمنعه من التساؤل.. فالعلم خزائن ومفاتيحها السؤال، والكسل يدعو إلى تأجيل الاستذكار، ويكسر ملكة الفهم ويحل عزيمة الطالب، ويجب عليه الإحترام لمعلمه كما فعل الصحابة الأجلاء فيما يرويه الشعبي.. فلقد قال: (صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابها.. فقال زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله.. فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء.. فقبل زيد يد ابن عباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ)، وهنا يقول الإمام الغزالي: (فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على العلم.. ومن التكبر على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين حماقة، لأن العلم سبب النجاة والسعادة) ثم يضرب المثل فيقول: (إن من يطلب النجاة من سبع ضار مفترس لا يفرق بين أن يرشده إلى الهرب من وجه السبع مشهور أو خامل) ثم يعلق قائلاً: (وضراوة سباع النار بالجهال بكتاب الله أشد ضراوة من كل سبع).

الصفة الرابعة: أن يقصد بتعلمه للقرآن تحلية باطنه، ونقاوة نفسه، وطهارة سريره، وأن يقصد به القرب إلى الله، والترقى إلى جوار الملأ الأعلى، والإنضمام إلى صفوف الملائكة، كما أخبرتنا السيدة عائشة رضی الله عنها.. قالت: قال رسول الله ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة). وفي حديث آخر أن الملائكة كانت تنزل لتسمع إلى أسيد بن حضير عند قراءته القرآن، وقد رآها مثل الظلة إلا أنه لم يعرفها. فذهب إلى رسول الله ﷺ ليصف له ما رأى.. وإليك نص الرواية كما هي في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري: أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربدته^(١) إذ جالت فرسه.. فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أيضاً، وقال أسيد: فخشيت أن تطأ (يحیی) ^(٢).. فقامت إليها فإذا مثل

(١) أى المكان الذى يجف فيه التمر.

(٢) يحيى هو ابن أسيد بن حضير.

الظلة فوق رأسى فيها أمثال السُّرج عَرَجَتْ فى الجو حتى ما آراها.. قال: فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مَرَبْدَى إذ جالت فرسى.. فقال رسول الله ﷺ: (أقرأ ابن حضير) قال: فقرأت. ثم جالت أيضاً.. فقال رسول الله ﷺ: (أقرأ ابن حضير)، قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: (أقرأ ابن حضير)، قال: فانصرفت، وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُّرج^(١) عَرَجَتْ فى الجو حتى ما آراها، فقال رسول الله ﷺ: (تلك الملائكة كانت نستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم)^(٢)...

الصفة الخامسة: أن لا ييخل بالإنفاق على تعلم القرآن، وليعلم أن كل قرش ينفقه من ماله ما هو إلا قرض حسن يقدمه لله... وقد ضرب سلفنا الصالح المثل الأعلى فى بذل المال والتضحية به فى سبيل طلب العلم.. وتعلم القرآن هو منتهى العلوم، وملتقى المقاصد والحكم... ثم يقول: والمثل الأعلى فى التضحية بالمال هو ما فعلته السيدة (أم ربيعة الرأى) شيخ الإمام مالك رضى الله عنهم، فإن هذه السيدة أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار، وإليك قصتها: (كان فروخ وهو والد الطفل (ربيعه) خرج فى البعوث^(٣) إلى خراسان أيام بنى أمية، وربيعه حمل فى بطن أمه، وخلف عند زوجته ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسه وفى يده رمح.. فنزل يدفع الباب برمحه، فخرج ربيعة وقال: يا عدو الله أتهجم على منزلى..؟ فقال فروخ: وأنت يا عدو الله دخلت على حرمى.. فتَوَائِباً حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس.. فأتوا يعينون ربيعة.. وكثر الضجيج.. وكل منهما يقول: لا فارقتك.. فلما بصروا بمالك سكتوا.. فقال مالك: أيها الشيخ ألك سعة فى غير هذه الدار؟ فقال

(١) السرج: المصابيح المنيرة.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٣) البعوث: أى الغزو.

الشيخ: هي دارى وأنا فروخ.. فسمعت أم ربيعة كلامه - وكانت فى الداخل لا تعلم بما يحدث - فخرجت وقالت: هذا زوجى وهذا ابنى الذى خلفه وأنا حامل به.. فتعانقاً وبكياً ودخل فروخ المنزل وقال: هذا ابنى..!!؟ فقالت: نعم فقال: أخرجنى المال الذى عندك، قالت: دفتته وأنا أخرجته.. ثم خرج ربيعة إلى المسجد، وجلس فى حلقة العلمية، فأتاه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، وقالت: أمه لزوجها: اخرج فصلّ فى مسجد رسول الله ﷺ: فخرج فنظر إلى حلقة وافرة بالعلم والناس، فأتاها فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه ليوهم أباه أنه لم يره، وعليه قلنسوة طويلة، فشكّ أبوه فيه، فقال من هذا الرجل؟ فقيل له: هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن.. فقال: لقد رفع الله ابنى.. ورجع إلى منزله وقال لوالدته: لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها.. فقالت المرأة: فأيهما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذى هو فيه؟ فقال: لا والله.. بل هذا.. فقالت: لقد أنفقت المال كله عليه.. قال: فوالله ما ضيّعته (١).

ولما ختم حماد بن أبى حنيفة سورة الفاتحة، أعطى أبوه للمعلم خمسمائة درهم.. فقال المعلم: ما صنعت حتى أرسل إلى هذا؟ فأحضره أبوه واعتذر إليه، وقال: لا تستحق ما علمت ولدى، والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيماً للقرآن.

وفى هذا اجتمعت عفة المعلم مع سخاء أبى حنيفة.

الصفة السادسة: التحلى بالأدب فى مجلس التعليم، مع المعلم، وأيضاً مع أضرابه، وأما مع العلم فلا يتبجح، ولا يأتى بأعمال يأنف منها أستاذه كالكلام والإنصراف بدون إذن منه، وكذا الدخول عليه بدون تسليم، وأن يجلس أمامه

(١) هذه القصة من كتاب (من أخلاق العلماء) لفضيلة الشيخ محمد سليمان عن ابن خلكان.

بسكينة ووقار، وأن لا يرفع صوته على صوت أستاذه فى كلام خارج عن
الدرس... أما رفع الصوت فى مسألة علمية، فمطلوب ليكتسب الجرأة فى
القراءة، وليتمكن من إظهار الحروف أمام شيخه.. وأما مع الزملاء فيحترم كل
واحد منهم، فلا يعيب بأدواتهم ومصاحفهم ولا يهوش عليهم برفع الصوت، ولا
يعطلهم عن أداء واجباتهم، وإذا طلب أحدهم العون أعانه، وأن يوثق العلاقة
الحسنة بهم حتى خارج الدرس... فيعود المريض، ويسأل عن الغائب، ويعين
المحتاج بقدر استطاعته ويشاركهم الأحزان والأفراح.. بقى بعد ذلك وهو الأهم..
احترامه للقرآن.. فلا يعيب بأدواته، ولا يقحم نفسه فيما يندسها.. (وأما آدابه
وصفاته مع الناس عامة.. فهى أن يتحلّى بالصدق ليتنزّه عن الكذب، ويحترم
مجلس الكبار، فإن جلس فبأدب، وإذا تكلم فبعد استئذان، وإذا دخل أو انصرف
سلم.. أما ما يفعله الآباء والأمهات من عزل للأبناء عن مجالس الكبار فضرره
أكثر من نفعه - إن كان فيه نفع - وما يقال: إذا تكلم الكبار سكت الصغار..
فهذا خطأ وأى خطأ.. ولكن الأفضل: إذا تكلم الصغار صمت الكبار، وأصغوا
إليه بأذان واعية، وقلوب متفتحة، وعقول يقظة، ليصححوا لهم كلامهم،
وليرشدوهم إلى الكلام المفيد، وليشجعوهم على صوابهم، وينبهوهم على
خطئهم.. وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً.. وهو أنه كان جالساً مع أصحابه
فقال فى رواية عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر
شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثونى ما هى؟» فوقع الناس
فى شجر البوادي - قال عبد الله بن عمر: ووقع فى نفسى أنها النخلة
فاستحييت - ثم قالوا: حدثنا ما هى يا رسول الله ﷺ..؟ قال: (هى النخلة) (١).

ففى هذا الحديث رأينا رسول الله ﷺ يشترك فى مجلسه الصبى الصغير عبد
الله بن عمر ومعه كبار الصحابة، وعبد الله ضرب المثل فى الأدب والحياء فلم
يتكلم فى المجلس.. وبعد أن انفض المجلس، وذهب عبد الله مع أبيه حدثه بما

(١) صحيح مسلم كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) باب مثل المؤمن مثل النخلة (٣٧/٨).

كان في نفسه من معرفته لجواب سؤال رسول الله ﷺ .. ولكن حيائه منعه .. فقال أبوه: لو كنت قلتها لكان أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا من حمر النعم .. وهنا يشجع عمر رضى الله عنه ابنه على إبداء الرأي، بل ويعتز برأيه ... ولذلك فضل رأى ابنه عن ملكيته لعدد من الإبل . وينبغي للمتعلم أن يتعود من صغره على فعل الطاعات وذلك بأداء العبادات، وفعل الخيرات، ليشب مؤمناً بما يتواءم مع القرآن الكريم .. وقدوته في هذا هو رسول الله الذي أجاب سائلاً قال له: من أدبك يا رسول الله؟ .. فقال ﷺ : (إن الله أدبني فأحسن أدبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (١) ..

**** فكن أخص الإسلام منتفعاً بكل تلك الآداب الهامة حتى تكون إن شاء الله تعالى من أهل القرآن الكريم الذي سيكون إن شاء الله تعالى سبباً في رفع شأنك في الدنيا والآخرة .. فقد قرأت في أثر ما نصه: (حامل القرآن حامل لواء الإسلام، فلا ينبغي أن يكون حامل القرآن محتاجاً للناس، بل ينبغي أن تكون حوائج الناس كلها إليه).**

اسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لهذا الفضل العظيم...

اللهم آمين

— وأما عن الركن الثالث والأخير من التراث الحمدي، وهو:

تذاكر الحلال والحرام في المسجد

فهذا أمر طبيعي لا بد وأن يلاحظه الأخ المسلم، لأن المسجد هو المدرسة

(١) خرج الحديث الإمام المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ١ . ص ٢٣٥ ، قال : ابن السمعان الإمام أبو سعد في كتاب (أدب الإملاء) من جهة صفوان بن مغلس الخيطي عن محمد بن عبد الله عن شعبان الثوري عن الأعمش عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ... الحديث .. والآية من سورة الأعراف: ١٩٩ .

المحمدية التي يجب على كل مسلم أن ينتسب إليها حتى يعرف أحكام دينه، وحتى يعلم من خلال ذلك كل ما يتعلق بالحلال والحرام في الإسلام:

ولولا العلم ما سعدت نفوس ولا عُرِفَ الحلال من الحرام
وقد أشار النبي ﷺ إلى رسالة المسجد، فقال مرغباً في السعي إليه للعلم، فقد ورد:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله : (من نفس^(١) عن مؤمن كربة^(٢) من كُرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً^(٣) ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر^(٤) يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس^(٥) فيه علماً سهل له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه^(٦) بينهم إلا حفتهم^(٧) الملائكة، ونزلت عليهم السكينة^(٨) وغشيتهم^(٩) الرحمة، وذكرهم الله في من عنده^(١٠)، ومن أَبْطَأَ به عمله لم يسرع به نسبه. .

(١) أى فرج وكشف .

(٢) أى شدة وضيقاً.

(٣) أى كساء ثوباً يستر عورته، أو المراد ستر عيوبه ولم يفضحه ونصحه فيما بينه وبينه.

(٤) بأن انظره أو حط عنه.

(٥) أى يطلب.

(٦) أى يتفهمون معانيه ويتدبرون مقاصده ومرامييه.

(٧) أى أحاطت بهم وقعدت حولهم.

(٨) أى الأمن والطمأنينة.

(٩) أى غطتهم وغمرتهم.

(١٠) يعنى فى الملائكة الأعلى، كما قال تعالى فى الحديث القدسى: «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته خير من ملاء خير منهم».

(رواه مسلم وأبو داود، والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما)

وعن أبى الدراء رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها^(١) لطالب العلم رضى بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وأن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما^(٢) إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

(رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى).

وعن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه: قال: أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد متكئ على برد^(٣) له أحمر فقلت له: يا رسول الله.. انى جئت اطلب العلم. فقال: «مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه^(٤) الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب،

(رواه أحمد والطبرانى باسناد جيد واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وروى ابن ماجه نحوه باختصار).

وعن أبى أمامه عن النبى ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن

(١) أى تخفضها تواضعاً ومحبة.

(٢) وإلى هذا أشار النبى ﷺ فى قوله: «نحن معشر الأنبياء لانورث، ما تركناه فهو صدقة».

(٣) البرد: ثوب مخطط وهو أيضاً كساء من الصوف الأسود يلتحف به.

(٤) أى تحيط به وتمشى حوله.

يتعلم خيراً أو يعلمه^(١) كان له كأجر حاج، تماماً حجته،^(٢)

(رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به)

وعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا لخير يتعلمه، أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين في سبيل الله، ومن جاء بغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»^(٣)،

(رواه ابن ماجه والبيهقي)

* هذا بالإضافة إلى أن طلب العلم في المسجد سيكون مصدر خير كبير لطالب العلم: لأنه سيكون في ضيافة ملك الملوك سبحانه وتعالى الذي يقول في الحديث القدسي: «إن بيوتى في الأرض المساجد وزوارى فيها عمارها فطوبى لمن تطهر في بيته وزارنى في بيتى، وحق على المزور أن يكرم زائره، ولا سيما إذا كان طالب العلم هذا من المحافظين على حرمة المسجد، ومن الذين يحضرون في المساجد بقلوبهم قبل أجسادهم:

إنه حينئذ سيكون من طلاب العلم بالمعنى الصحيح.

وحسب طالب العلم هذا، أن يدرس في المسجد، وبين يدي أستاذ عامل هذا الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم:

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور متشابها لا يعلمهن

(١) يعنى غدا إلى المسجد بإحدى هاتين النيتين.

(٤) أى مقبولة مبرورة ولا حرج على فضل الله.

(٣) أى لاحظ له من هذا الخير إلا النظر كما ينظر الفقير المحروم إلى ما عند الأغنياء من

عرض ومتاع.

كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ^(١) لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى^(٢) يوشك^(٣) أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت: صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب.

فهذا الحديث: (٤) تبنى عليه أحكام الإسلام كلها، فقد قسم الرسول ﷺ فى هذا الحديث الأحكام إلى حلال بين، وبينه الشريعة فى نصوصها، وإلى حرام بين وبينه الشريعة كذلك فى نصوصها، وإلى أمور أخرى اشتبه على كثير من الناس حكم الله فيها، وهى من المتشابهات التى ينبغى على المسلم الورع اتقاؤها، صيانة لدينه وعرضه، وجعل النبى ﷺ مدار صحة الأديان والأبدان على صلاح القلب، وسلامته من الآفات.

وقد قال النووى فى شرح مسلم: أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وأنه أحد الأحاديث التى عليها مدار الإسلام (٥) اهـ.

إن الدارس لهذا الحديث، سيعرف أن:

* الحلال - عند جمهور الفقهاء -: هو المباح الذى لم يرد دليل من الشرع يحرمه.

* والحرام، كذلك - عند جمهور الفقهاء -: هو المحظور الذى ورد دليل من الشرع يحرمه.

(١) أى طلب البراءة لدينه وعرضه من الخطأ والعار.

(٢) الحمى: ما حماه الملك لنفسه من أرض لا يسمح لأحد أن يدخلها إلا بإذنه.

(٣) يوشك: أى يقرب أن يدخله ويرعى فيه إبله أو ماشيته.

(٤) كما يقول الشيخ محمد بكر اسماعيل فى الفقه الواضح ج ١ ص ٢١.

(٥) ج ١١ ص ٧.

وسيعرف كذلك أنه يندرج تحت هذين التعريفين أربع حقائق^(١):

الحقيقة الأولى: أن الأصل في الأشياء الإباحة^(٢). فكل شيء لم ينص الشارع على تحريمه. فهو حلال لا نسئل عنه.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها،

(رواه الدارقطني وغيره بسند حسن، وصححه ابن الصلاح)

وقال النبراوى فى شرح هذا الحديث:

«هذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، الموجزة البليغة. بل قيل: ليس فى الأحاديث حديث أجمع لأصول الدين وفروعه منه، لأنه قسم أحكام الله تعالى إلى أربعة أقسام: فرائض، ومحارم، وحدود، ومسكوت عنه، وذلك يجمع أحكام الدين كلها.»

الحقيقة الثانية: أن الحلال ما أحله الله ورسوله، لا ما أحله الإنسان بعقله وهواه. وأن الحرام ما حرمه الله ورسوله لا ما حرمه الإنسان بعقله وهواه.

* وعلى هذا.. فلا يجوز لأحد كائناً من كان، أن يقول فى دين الله ما لم يقله الله ورسوله وأن يفتى فى دينه بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير، فإن القول على الله - بغير علم - افتراء عظيم، وجرم كبير.

ولقد شدد الله النكير على كل من تسول له نفسه الأمانة بالسوء أن يتجرأ

(١) كما يقول أيضاً فى الفقه الواضح.

(٢) هذا مذهب أكثر العلماء، ويرى بعضهم العكس.

على الفتيا بغير علم، طمعاً في دنيا يصيبها، أو جاه يحصل عليه، أو منصب يعتليه، أو ليقال: إنه عالم، أو خوفاً من أن يقال: إنه جاهل.

فقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَإِثْمٌ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَّهِ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

وقال رسول الله: «من كذب على متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار».

(رواه مسلم وغيره)

* ولهذا.. فقد كان أصحاب رسول الله يتخرجون من الإفتاء في دين الله أشد الحرج، إلى الحد الذي كان أحدهم إذا سأله سائل عن مسألة في دين الله، اهتز واضطرب، وأحاله إلى غيره، فقال: اذهب إلى فلان فإنه أعلم مني.

(١) الأعراف: ٣٣

(٢) يونس: ٥٩ - ٦٠

(٣) النحل: ١١٦ - ١١٧

وهكذا كان يصنع التابعون عليهم جميعاً رضوان الله: فقد رُوي أن كل فقيه من الفقهاء المشهورين كان يقول بعد تقرير حكم الله في المسألة: هذا ما وصل إليه علمي، فإن وجدتم في كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ ما يخالف قولي، فخذوا به، واضربوا بقولي عرض الحائط.

وقيل إن الإمام مالكا رضي الله عنه سئل عن مائة مسألة فأجاب عن أربعة منها، وقال في الباقيات: الله أعلم فعوتب في ذلك، فقال: من قال: الله أعلم، فقد أفتى.

وقرأت أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقف ذات يوم يخطب على المنبر، فسأله أحدهم عن مسألة من المسائل فقال: الله أعلم، فقال له السائل متعجباً: هذا مكان من يعلم ولا يجهل! فأجاب عليه رضوان الله بقوله: هذا مكان من يعلم ويجهل، أما من يعلم ولا يجهل فليس له مكان^(١).

* ولهذا.. فقد كان عليه رضوان الله يقول: احفظوا عني خمساً، لو شددتم إليها المطايا لم تظفروا بمثلها، ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، ألا وإن الخامسة الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له، لا إيمان له.

الحقيقة الثالثة: إن الله تبارك وتعالى ما أحل لعباده إلا الطيبات، وما حرم عليهم إلا الخبائث:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٢).

(١) وهو الله سبحانه وتعالى لأنه سبحانه ليس له مكان محدد، «وهو معكم أينما كنتم» (الحديد: ٤)، ولأننا لو حددنا له مكاناً لكان حادثاً...

(٢) البقرة: ١٧٢

وقال تعالى فى سورة المائدة: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ (١).

وقال تعالى فى سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (٢).

الحقيقة الرابعة: أنه لا يجوز للعبد أن يحرم على نفسه شيئاً أباحه الله له من غير ضرورة، فإن ذلك يعد اعتداء على دينه، وتعدياً على حدوده.

قال جل وعلا فى سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ • وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

وقد يسأل الأخ القارىء بعد تلك الحقيقة الرابعة السؤال الآتى: ولماذا حرم الرسول ﷺ على نفسه ما أحل الله له؟ كما يشير قول الله تعالى فى أول سورة التحريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

فأجيبه إن شاء الله تعالى بما ذكره القرطبى - بتصرف فى المسألة الأولى التى ذكرها حول تفسير تلك الآية، فيقول: ثبت فى صحيح مسلم، عن عائشة رضى

(١) المائدة: ٤

(٢) الأعراف: ١٥٧

(٣) المائدة: ٨٧ - ٨٨

(٤) التحريم: ١

الله عنها، أن النبي ﷺ، كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً، قالت: فتواطأت أنا وحفصة^(١) أن أيتنا ما دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل - له -: إني أجِد منك ريح مغاير! أكلت مغاير^(٢)؟ فدخل الرسول - ﷺ - على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: «بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له». فنزل قول الله تعالى: ﴿لِمَ تَحَرَّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ تَتُوبَا﴾^(٣) لعائشة وحفصة.

وعنها أيضاً رضى الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يُحب الحلواء والعسل، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك فقيل لى: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت رسول الله ﷺ منه شربه... فقلت: أما والله لنحتالَنَّ له، فذكرت ذلك لسودة وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولى له: يا رسول الله.. أكلت مغاير؟ فإنه سيقول لا.. فقولى له: ما هذه الريح؟ - وكان الرسول ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح - فإنه سيقول لك: سقتنى حفصة شربة عسل، فقولى له: جرست نحله العرفط^(٤). فلما دخل على حفصة قالت: يا رسول الله ألا أسقيك منه. قال: «لا حاجة لى به». قالت: تقول لسودة: سبحان الله! والله لقد حرمناه^(٥). قالت: قلت لها اسكتى... الخ تلك الرواية.

وروى الدارقطنى، عن ابن عباس عن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية فى بيت حفصة، فوجدته حفصة معها - وكانت حفصة غابت إلى بيت أبيها - فقالت له: ما صنعت بى هذا من بين نسائك إلا من هوانى عليك.

(١) وهى زوج الرسول ﷺ وابنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنها.

(٢) المغاير: بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة، فيها حلاوة.

(٣) التحريم: ٤

(٤) العرفط: نبت له ريح كريج الخمر.

(٥) أى منعناه شربة عسل.

فقال لها: «لا تذكرى هذا لعائشة فهي على حرام إن قربتها،

قالت حفصة: وكيف تحرم عليك وهي جاريتك؟ فحلف لها ألا يقربها.
فقال النبي: «لا تذكرىه لأحد، فذكرته لعائشة، فآلى^(١) لا يدخل على نسائه
شهرًا، فاعتزلهن تسعًا وعشرين ليلة، فأنزل الله عز وجل: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ
اللَّهُ لَكَ﴾^(٢) الآية، إلى قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يَبْدُلَهُ أَزْوَاجًا
خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثِيَابٍ
وَأَبْكَارًا﴾^(٣). (٤)

فمن هذا يتبين لنا أو يتأكد لنا ما أشارت إليه الحقيقة الرابعة، وهو أنه ليس
لأى إنسان - كائناً من كان - حتى ولو كان النبي محمد ﷺ أن يحرم على
نفسه ما أحل الله له.. وذلك لأن الله تعالى هو الذى يحل ويحرم.

هذا بالإضافة إلى أن الأخ المسلم سيعرف من خلال دراسته لهذا
الحديث، وهو: «أن الحلال بين والحرام بين...»: أن الله تعالى، قد حرم
علينا:

١ - الميتة، وهى: ما مات حتف أنفه من الحيوان والطيور، أى: ما مات بدون
عمل من الإنسان يقصد به تذكيتة أو صيده.

٢ - والدم المسفوح، وهو الدم السائل، والسرفى تحريمه هو أنه مستقذر يعافه
الطبع الإنسانى النظيف، كما أنه مظنة للضرر كالميتة.

(١) أى حلف

(٢) التحريم: ١

(٣) التحريم: ٥

(٤) ارجع إلى تفسير تلك الآيات بتوسع فى القرطبي وابن كثير

٣ - ولحم الخنزير، لأن أشهى غذائه القاذورات والنجاسات... كما ثبت بالتجارب العلمية أن أكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القاتلة.. ومن الباحثين من يقول: إن المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيرة على الحرمات.

٤ - وما أَهْلٌ لغير الله به، أى ما ذبح وذكر عليه اسم غير الله كالأصنام.

٥ - والمنخنقة، وهى التى تموت اختناقاً، بأن يلتف وثاقها على عنقها أو تدخل رأسها فى مضيق أو نحو ذلك.

٦ - والموقوذة، وهى التى تضرب بالعصا ونحوها حتى تموت.

٧ - والمتردية، وهى التى تتردى من مكان عال فتموت، ومثلها التى تتردى فى البحر.

٨ - والنطيحة، وهى التى تنطحها أخرى فتموت.

٩ - وما أكل السبع، وهو الحيوان المفترس، أى أكل جزءاً منها فماتت.

١٠ - وما ذبح على النُصب: والنصب هو الشيء المنسوب من أصنام أو حجارة تقام أمانة للطاغوت وهو ما عبد من دون الله - وكانت حول الكعبة - وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها أو عندها بقصد التقرب إلى آلهتهم وأوثانهم.

قال تعالى فى سورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَنَقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصَبِ﴾ (١).

وإذا كان الله تعالى فى تلك الآية كما قرأنا قد قال: ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾، فالمراد: إلا ما أدركتم من هذه الحيوانات وفيه حياة فذكيتموه، أى: أحللتموه بالذبح ونحوه.. ويكفى فى صحة إدراك ما ذُكر أن يكون فيه رمق من الحياة:

(١) المائدة: ٣

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة، وهي تحرك يداً أو رجلاً فكلها.

وقد حرم الله تعالى ما أكل السبع على الإنسان تكريماً له، وتنزيهاً له أن يأكل فضلات السباع.

وأما السمك والجراد، فقد استثنتهما الشريعة الإسلامية من الميتة المحرمة:

قال تعالى: ﴿أَحْلَلْ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ﴾ (١).

قال عمر: صيده، ما اصطيد منه، وطعامه: ما رمى به. وقال ابن عباس: طعامه ميتته.

وقد سئل النبي ﷺ عن ماء البحر، فقال: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته،

(رواه أحمد وأصحاب السنين)

وأما عن الجراد، فقد رخص رسول الله ﷺ في أكله ميتاً، لأن ذكاته غير ممكنة، قال ابن أبي أوفى رضي الله عنه: «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات كنا نأكل معه الجراد،

(رواه الجماعة إلا ابن ماجه)

وأما عن جلد الميتة أو قرونها أو شعرها: فقد أباح الشارع الإنتفاع به، لأنه مال يمكن الإستفادة منه فلا تجوز إضاعته:

فعن ابن عباس قال: تُصَدَّقُ على مولاة (٢) لميونة - أم المؤمنين - بشاة فماتت، فمر بها رسول الله ﷺ، فقال: «هلا أخذتم إهابها» (٣) فدبغتموه

(١) المائدة : ٩٦.

(٢) أى جارية كانت لها وأعتقتها.

(٣) أى جلدها.

فانتفعتم به، ؟ فقالوا: إنها ميتة! فقال ﷺ : «إنما حرم أكلها»

(رواه الجماعة إلا ابن ماجه)

وقد بين النبي ﷺ السبيل إلى تطهير جلد الميتة، فقال : «دباغ الأديم»^(١) ذكاته، . أى أن الدباغ فى التطهير بمنزلة الذكاة فى احلال الشاة ونحوها. وفى رواية: «دباغه يذهب بخبثه»^(٢). وفى صحيح مسلم وغيره عنه : «إذا دبغ الإهاب فقد طهر». قال فى كتاب «الحلال والحرام فى الإسلام»^(٣) : وهو عام يشمل كل جلد ولو كان جلد كلب أو خنزير، وبذلك قال أهل الظاهر، وحكى عن أبى يوسف صاحب أبى حنيفة، ورجحه الشوكانى.

ثم يقول بعد ذلك تحت عنوان «حالة الضرورة مستثناة» :

كل هذه المحرمات المذكورة إنما هى فى حالة الاختيار.

أما الضرورة فلها حكمها، قال تعالى: «وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ»^(٤).

وقال تعالى بعد أن ذكر تحريم الميتة والدم وما بعدها: «فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٥).

ثم يوضح بعد ذلك هذا فيقول: «والضرورة المتفق عليها هى ضرورة الغذاء، بأن يعضه الجوع - وقد حدده بعض الفقهاء بأن يمر عليه يوم وليلة - ولا يجد

(١) أى الجلد

(٢) رواه الحاكم

(٣) للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى (أكرمه الله)

(٤) الأنعام: ١١٩

(٥) البقرة ١٧٣

بما يأكله إلا هذه الأطعمة المحرمة، فله أن يتناول منها ما يدفع به الضرورة ويتقى الهلاك».

وقال الإمام مالك: حد ذلك الشبع والتزود منها حتى يجد غيرها.

وقال غيره: لا يأكل منها إلا ما يمسك الرمق.. ولعل هذا هو الظاهر من قوله تعالى: «غَيْرِ بَاغٍ وَلَا عَادٍ» أى غير باغ (طالب) للشهوة، ولا عاد، أى غير (متجاوز) حد الضرورة وضرورة الجوع قد نص عليها القرآن الكريم نصاً صريحاً، بقوله: «فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ^(١) غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٢).

وأما ضرورة الدواء - بأن يتوقف برؤه على تناول شيء من هذه المحرمات - فقد اختلف في اعتبارها الفقهاء.. فمنهم من لم يعتبر التداوى ضرورة قاهرة كالغذاء، واستند كذلك إلى حديث: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ»^(٣).

ومنهم من اعتبر هذه الضرورة وجعل الدواء كالغذاء، فكلاهما لازم للحياة في أصلها أو دوامها، وقد استدل هذا الفريق على إباحة هذه المحرمات للتداوى - بأن النبي ﷺ رخص في لبس الحرير لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام، رضى الله عنهما، لحكة - جرب - كانت بهما. مع نهيه عن لبس الحرير، ووعيده عليه.

ثم يقول: وربما كان هذا القول أقرب إلى روح الإسلام الذى يحافظ على الحياة الإنسانية فى كل تشريعاته ووصاياها.

(١) المخرصة: أى المجاعة

(٢) المائدة: ٣

(٣) رواه البخارى عن ابن مسعود.

ولكن الرخصة فى تناول الدواء المشتمل على محرم مشروطة بشروط:

١ - أن يكون هناك خطر حقيقى على صحة الإنسان إذا لم يتناول هذا الدواء.

٢ - ألا يوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه أو يغنى عنه.

٣ - أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة فى خبرته وفى دينه معاً.

.. إلخ تلك الشروط والأحكام التى يستطيع الأخ المسلم الرجوع إليها فى الكتب المطولة (١).

هذا.. مع ملاحظة:

١ - أن الحيوانات البحرية، وهى التى تسكن جوف الماء، ولا تعيش إلا فيه: كلها حلال كيفما وجدت، سواء أخذت من الماء حية أو ميتة، طفت أو لم تطف، يستوى فى ذلك السمك، والحيتان، وما يسمى كلب البحر أو خنزير البحر أو غير ذلك فقد وسع الله على عباده بإباحة كل ما فى البحر، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (٢).

وقال: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلْسَّيَارَةِ﴾ (٣). (٤)

٢ - وأن الحيوانات البرية: لم يصرح القرآن الكريم بتحريم شىء منها إلا لحم الخنزير خاصة، والميتة والدم وما أهل لغير الله به من أى حيوان - كما تقدم -

(١) وفى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) للدكتور يوسف القرضاوى أكرمه الله

(٢) النحل: ١٤

(٣) أى المسافرين

(٤) المائدة: ٩٦

ولكن القرآن الكريم قال عن الرسول محمد ﷺ: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ» (١)، والخبائث هي التي يستقذرها الذوق الحسى العام للناس فى مجموعهم وإن أساغها أفراد منهم.. ومن ذلك أنه «نهى عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر» (٢)، ومن ذلك ما روى فى الصحيحين، أنه «نهى عن أكل لحم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير».. والمراد بالسباع ما يفترس الحيوان ويأكله قسراً كالأسد والنمر والذئب ونحوها.. والمراد بذى المخلب من الطير ما كان له ظفر جارح كالنسر والبازى والصقر والحدأة. ثم يقول بعد ذلك فى «الحلال والحرام فى الإسلام»، «ما أبيع أكله من الحيوانات البرية نوعان: نوع مقدور عليه متمكن منه، كالأنعام من إبل وبقر وغنم وغيرها من الحيوانات المستأنسة والدواجن والطيور التى تربي فى المنازل ونحوها.

ونوع غير مقدور عليه ولا يتمكن منه.

أما النوع الأول فقد اشترط الإسلام لإباحته أن يذكر تذكيراً شرعية.

والذكاة الشرعية المطلوبة (٣) لا تتم إلا بشروط وهى:

١ - أن يذبح الحيوان أو ينحر بآلة حادة مما ينهر الدم ويفرى الأوداج ولو كان حجراً أو خشباً.

٢ - أن يكون فى الحلقة أو اللبة (النحر) وذلك بقطع فى الحلق يكون الموت فى أثره، أو طعن فى اللبة يكون الموت فى أثره.

٣ - أن لا يذكر عليه اسم غير الله.

(١) الأعراف : ١٥٧

(٢) رواه البخارى

(٣) كما يقول أيضاً فى الحلال والحرام فى الإسلام بتصرف.

٤ - أن يذكر اسم الله على الذبيحة.

وذهب بعض العلماء إلى أن ذكر اسم الله لا بد منه، ولكن ليس من اللازم أن يكون ذلك عند الذبح، بل يجزىء عنه أن يذكره عند الأكل.

وفي صحيح البخارى، عن عائشة رضى الله عنها: أن قوماً حديثى عهد بجاهلية قالوا للنبي ﷺ إن قوماً يأتوننا باللحمان لا ندرى أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا؟ أناكل منها.. أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ : «أذكروا اسم الله وكلوا».

كما يشير أيضاً إلى قاعدة هامة، وهى أنه: ليس للمسلم أن يسأل عما غاب عنه: كيف كانت تذكيتة؟ وهل استوفت شروطها أم لا؟.. وهل ذكر اسم الله على الذبيحة أم لم يذكر؟.. بل كل ما غاب عنا مما ذكاه مسلم - ولو جاهلاً أو فاسقاً - أو كتابى^(١) فحلل أكله.

* * *

* وأما عن: (الخمْرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ) فقد أكد الله تحريم كل هذا فى آيتين من سورة المائدة، قال فيهما:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ . إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ؟﴾^(٢)

(١) أى من أهل الكتاب

(٢) المائدة: ٩٠ ، ٩١

فقى هاتين الآيتين أكد الله تعالى تحريم الخمر والميسر - القمار - تأكيداً بليغاً، إذ قرنهما بالأنصاب والأزلام، وجعلهما رجساً.. وجعلهما من عمل الشيطان.. وطلب اجتنابهما وجعل هذا الإجتنا ب سبيلاً إلى الفلاح. وذكر من أضرارهما الإجتماعية، تقطيع الصلّات وإيقاع العداوة والبغضاء.. كما ذكر من أهم أضرارها الروحية الصد عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة. ثم يطلب الله تعالى الإنتهاء عنهما بأبلغ عبارة فيقول: **«فهل أنتم منتهون»**.

هذا مع ملاحظة: أن كل مسكر خمر، وعلى هذا.. فإن البيرة وما شابهها حرام.

فقى الحديث: **«كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»** (١). وكذلك: **«ما أسكر كثيره فقليله حرام»** (٢).

وفي كتاب **«الحلال والحرام في الإسلام»** يقول:

ولم يكتف النبي ﷺ بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها، بل حرم الإبتجار بها، ولو مع غير المسلمين، فلا يحل لمسلم أن يعمل مستورداً أو مصدراً للخمر، أو صاحب محل لبيع الخمر، أو عاملاً في هذا المحل الذي يبيع الخمر.

ومن أجل ذلك: **«لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها»** (٣)، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيتها، وبائعها، وأكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراه له» (٤).

وكما حرم بيع الخمر وأكل ثمنها.. كذلك يحرم على المسلم اهداءها ولو

(١) رواه مسلم

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى

(٣) أى طالب عصرها.

(٤) رواه الترمذى وابن ماجه ورواه ثقات

إلى غير مسلم.. فما ينبغي أن تكون الخمر هدية منه، ولا هدية إليه، فهو طيب لا يهدى إلا طيباً، ولا يقبل إلا طيباً:

فقد روى أن رجلاً أراد أن يهدى للنبي ﷺ، راوية خمر، فأخبره النبي ﷺ أن الله حرمها، فقال الرجل: أفلا أبيعها؟ قال النبي ﷺ: «إن الذي حرم شربها حرم بيعها»، قال الرجل: أفلا أكارم بها اليهود؟ فقال النبي ﷺ: «إن الذي حرمها حرم أن يكارم بها اليهود»، فقال الرجل: فكيف أصنع بها؟. فقال النبي ﷺ: «شئها» (١) على البطحاء، (٢).

وكذلك حرم الإسلام التداوى بالخمر:

فقد روى أن رجلاً سأل النبي عن الخمر.. فلما أخبره أنها حرام. قال الرجل: إنما أصنعها للدواء، فقال النبي: «إنه ليس بدواء ولكنه داء» (٣).

وقال ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداؤوا، ولا تتداؤوا بحرام» (٤).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في شأن المسكر: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّمَ عليكم» (٥).

وكذلك: «فإن كل ما يضر، فأكله أو شربه حرام، مثل: الحشيش، و«الكوكابين، والأفيون.. بل والدخان.. لأن كل هذا مضر بالصحة ومثلف للمال:

(١) أى أرقها على الأرض

(٢) رواه الحميدى فى مسنده

(٣) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

(٤) رواه أبو داود

(٥) رواه البخارى تعليقا

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢).

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَا ضَرَرُ وَلَا ضَرَار» (٣)

وقد «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال» (٤)

وكذلك حرم الإسلام:

الذهب والحرير الخالص على الرجال

فعن علي كرم الله وجهه قال:

أخذ النبي ﷺ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله، ثم قال: «إِنْ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذَكَورِ أُمَّتِي» (٥).

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ، فَإِنْ مِنْ لَبَسِهِ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ» (٦).

وقال ﷺ في حلة من الحرير: «إِنْ هَذِهِ لِبَاسٌ مِنْ لَأْخَلِاقٍ لَهُ» (٧).

(١) البقرة: ١٩٥ .

(٢) النساء ٢٩ .

(٣) رواه أحمد وابن ماجه .

(٤) رواه البخاري .

(٥) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان وابن ماجه وزاد ابن ماجه «حِلٌّ لِأَنَّهُمْ» .

(٦) رواه الشيخان .

(٧) رواه الشيخان .

ورأى النبي ﷺ خاتماً من ذهب فى يد رجل، فنزعه وطرحه، وقال: «يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ». فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله.. لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ (١).

ومثل الخاتم ما نراه عند المترفين من قلم الذهب، وساعة الذهب، وقداحة (ولاعة) الذهب، وعلبة الذهب للسجائر، والفم الذهب... إلخ. أما التختم بالفضة فقد أباحه عليه الصلاة والسلام للرجال:

روى البخارى عن ابن عمر، قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ورق (فضة) وكان فى يده، ثم كان بعد فى يد أبى بكر، ثم كان بعد فى يد عمر، ثم كان بعد فى يد عثمان، حتى وقع بعد فى بئر أريس (٢).

قال فى كتاب «الحلال والحرام فى الإسلام»:

أما المعادن الأخرى كالحديد وغيره، فلم يرد نص صحيح يحرّمها، بل ورد فى صحيح البخارى أن الرسول ﷺ قال للرجل الذى أراد تزوج المرأة الواهبة نفسها: «التمس ولو خاتماً من حديد»، وبه استدل البخارى على خاتم الحديد.

* وقد رخص النبي ﷺ فى لبس الحرير إذا كان لحاجة صحيّة:

فقد أذن عليه الصلاة والسلام بلبسه لعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام رضى الله عنهما، لحكة كانت بهما (٣).

* كما حرم الإسلام أواني الذهب والفضة. ومفارش الحرير الخالص فى البيت المسلم، لأنه سرف وخيلاء وكسر لقلوب الفقراء:

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى فى كتاب اللباس.

(٣) رواه البخارى.

روى مسلم فى صحيحه عن أم سلمة رضى الله عنها: «إن الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة إنما يُجرى فى بطنه نار جهنم»، (١).

وروى البخارى عن حذيفة، قال: «نهانا رسول الله أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه، وقال: هولهم (أى: للكفار) فى الدنيا ولنا فى الآخرة»، (٢).

* وحرم الإسلام فى البيت الإسلامى أن يشتمل على التماثيل - أى الصور المجسمة غير الممتحنة - وجعل وجود هذه التماثيل فى بيت المسلم سبباً فى أن تفر عنهم الملائكة، وهم مظهر رحمة الله، ورضاه تعالى، قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير» (٣).

وحرم الإسلام على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل وإن كان يعملها لغير المسلمين.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور» وفى رواية «الذين يضحون بخلق الله»، (٤).

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن: «من صور صورة كُلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً»، (٥).

وأما ما عدا ذلك من الصور واللوحات.. فإن كانت لغير ذى روح كصور النبات والشجر والبحار والسفن والجبال والشمس والقمر والكواكب ونحوها من

(١) رواه مسلم: والجرجرة: صوت وقع الماء فى الجوف.

(٢) رواه البخارى.

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه البخارى وغيره.

المناظر الطبيعية - لنبات أو جماد - فلا جناح على من صورها أو اقتناها.. بلا جدال.

قال فى كتاب «الحلال والحرام فى الإسلام» :

وأما الصور الشمسية (الفوتوغرافية) فالأصل فيها الإباحة، إذا لم يشتمل موضوع الصورة على محرم كتقديس صاحبها تقديساً دينياً، أو تعظيمه تعظيماً دنيوياً.. وقد ذكر فتوى^(١) للشيخ محمد بخيت مفتى مصر رحمه الله - جاء فيها: أن أخذ الصورة بالفوتوغرافيا - الذى هو عبارة عن حبس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة - ليس من التصوير المنهى عنه فى شىء، لأن التصوير المنهى عنه هو إيجاد صورة وصنع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل، يضاهى بها حيواناً خلقه الله تعالى، وليس هذا المعنى موجوداً فى أخذ الصورة بتلك الآلة.

* * *

وقد هرم الإسلام :

الزنا

قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾^(٢).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: إن ذلك لعظيم. قلت: ثم أى؟ قل: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قلت: ثم أى؟ قال: «أن تزانى حيلة جارك».

(أخرج الشيخان وغيرهما)

(١) من كتاب (الجواب الشافى فى إباحة التصوير الفوتوغرافى).

(٢) الإسراء: ٣٢.

* وحرّم الإسلام الخلوة بالأجنبية عن الرجل وهى التى لا تكون زوجه له ولا إحدى قريباته التى يحرم عليه زواجها حرمة مؤبدة، كالأم والأخت والعمة والخالة:

فمن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم،

(رواه البخارى ومسلم)

وعن عامر بن ربيعة، أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها، فإن ثالثهما الشيطان،

(رواه أحمد)

وفى تفسير قوله تعالى فى شأن نساء النبى ﷺ: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ»^(١) يقول الإمام القرطبي: «يريد: من الخواطر التى تعرض للرجال فى أمر النساء، وللنساء فى أمر الرجال، أى أن ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى فى الحماية، وهذا يدل على أنه لا ينبغى لأحد أن يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا تحل له فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله، وأحصن لنفسه وأتم لعصمته»^(٢) ويقول فى كتاب: «الحلال والحرام فى الإسلام»:

ويحذر الرسول ﷺ هنا تحذيراً خاصاً من خلوة المرأة بأحمائها (أقارب زوجها) كأخيه وابن عمه، لما يحدث عادة من تساهل فى ذلك بين الأقارب،

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) تفسير القرطبي ج ١٤ ص ٢٢٨.

قد يجر أحياناً إلى عواقب وخيمة، لأن الخلوة بالقرب أشد خطراً من غيره، والفتنة به أمتن، لتمكنه من الدخول إلى المرأة من غير نكير عليه، بخلاف الأجنبي.

ومثل ذلك أقارب الزوجة من غير محارمها كابن عمها، وابن خالها وابن خالتها، فلا يجوز لأحد منهم الخلوة بها.

قال عليه الصلاة والسلام: «إياكم والدخول على النساء».

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله.. أفرأيت الحمى؟ قال: «الحمى الموت» (١).

قل النووي: المراد في الحديث: أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه، لأنهم محارم للزوجة يجوز لهم الخلوة بها ولا يوصفون بالموت.. وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابن العم وابن الأخت ونحوهم مما يحل لها تزوجه لو لم تكن متزوجة ذهب المازري إلى أن المراد بالحمى في الحديث: أبو الزوج، وذكره للتنبيه على منع غيره بطريقة الأولى (٢).

* * *

* وقد حرم الإسلام النظر إلى العورات:

فقد نهى النبي ﷺ عن النظر إلى العورات، ولو كان من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى امرأة بشهوة أم بغير شهوة، قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد».

وعورة الرجل (٣) التي لا يجوز النظر إليها من رجل أو امرأة تحدد فيما بين

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر فتح الباري ج ١١ ص ٣٤٤.

(٣) كما يقول في كتاب الحلال والحرام في الإسلام ص ١٦٣.

السرة والركبة، كما ورد في الحديث ويرى بعض الأئمة كابن حزم وبعض المالكية أن الفخذ ليس بعورة.

وعورة المرأة بالنسبة للرجل الأجنبية عنها هي جميع بدننها ماعدا وجهها وكفيها، أما عورتها بالنسبة لمن كان ذا محرم منها كأبيها وأخيها فإنه يجوز لهما ولغيرهما من المحارم النظر إلى مواضع الزينة الباطنة، من مثل الأذن والعنق والشعر والصدر والذراعين والساقين، فإن إبداء هذه الزينة لهؤلاء مباح.

وما عدا ذلك من مثل الظهر والبطن والسوأتين والفخذين فلا يجوز إبداءه لامرأة أو لرجل إلا للزوج.

* * *

وقد :

أحل الله البيع وحرم الربا

فقال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾^(٢).

كما أثنى سبحانه وتعالى على الضاربين في الأرض للتجارة، فقال: ﴿وَأَخْرَجَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٣).

قال في «الحلال والحرام في الإسلام»: ولكن الإسلام سد الطريق على

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) المزمل: ٢٠.

كل من يحاول استثمار ماله في طريق الربا، فحرم قليله وكثيره، وشنع على اليهود إذ أخذوا الربا وقد نهوا عنه. وكان من أواخر ما نزل من القرآن قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذُرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ﴾ (١).

وأعلن الرسول ﷺ حربه على الربا والمرابين، وبين خطره على المجتمع، فقال: «إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»، (٢).

وأما عن البيع لأجل مع زيادة الثمن:

كما يفعله معظم التجار الذين يبيعون بالتقسيط: فمن الفقهاء من حرم هذا النوع من البيع مستنداً إلى أنه زيادة في المال في مقابل الزمن فأشبهه الربا.

وأجازه جمهور العلماء، لأن الأصل فيه الإباحة، ولم يرد نص بتحريم، وليس مشابهاً للربا من جميع الوجوه، وللبائع أن يزيد في الثمن لاعتبارات يراها، لم تصل إلى حد الاستغلال الفاحش والظلم البين، وإلا صارت حراماً.

قال الشوكاني: «قالت الشافعية والحنفية، وزيد بن علي والمؤيد بالله والجمهور: يجوز لعموم الأدلة القاضية بجوازه، وهو الظاهر» (٣).

قال في «الحلال والحرام في الإسلام»: وعلى عكس هذا يجوز للمسلم أن

(١) البقرة: ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٢) رواه الحاكم، وروى نحوه أبو يعلى بإسناد جيد

(٣) نيل الأوطار ج ٥ ص ١٥٣ قال الشوكاني: وقد جمعنا رسالة في هذه المسألة سمينها (شفاء العلل في زيادة الثمن لمجرد الأجل) وقد حققناها تحقيقاً لم نسبق إليه.

يدفع مقداراً معلوماً من المال حالاً ليتسلم في مقابله صفقة بعد أجل معين . وهو المعروف في الفقه الإسلامي بعقد (السلم) .

وهذا نوع من المعاملات كان سائداً في المدينة، ولكن النبي ﷺ أدخل عليه تعديلات وشروطاً، ليتفق وما تتطلبه الشريعة في المعاملات.

قال ابن عباس: قدم النبي ﷺ المدينة فوجدهم يسلفون في الثمار السنة والسنتين أى يسلفون مالاً في الحال ليحصلوا على الثمار بعد سنة أو سنتين - فقال النبي ﷺ: «من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم» (١).

بهذا التحديد في الكيل أو الوزن والأجل يرتفع النزاع والغرر.

ومن هذا القبيل أنهم كانوا يسلفون في ثمار نخيل بأعيانها، فنهاهم عن ذلك لما فيه من الغرر، إذ قد تصاب تلك النخيل بعاهة فلا تثمر شيئاً.

والصورة السليمة لهذه المعاملة ألا يشترط ثمر نخلة بعينها ولا قمح أرض بعينها وهكذا بل يشترط الكيل أو الوزن فقط.

فإذا كان هناك استغلال بين لصاحب النخل أو الأرض بأن اضطرته الحاجة أن يقبل العقد فحينئذ يتجه القول بالتحريم.

* * *

* فتلك أخوا الإسلام.. بعض النماذج أو بعض الأمثلة أو الأحكام الفقهية المتعلقة بالحلال والحرام.. التي تستطيع أن تدرسها بالإضافة إلى غيرها من الأحكام بصورة موسعة ومفصلة إذا ما وازبت على حضور مجالس العلم النافع في المسجد الذي هو المدرسة الحقيقية لطلب العلم النافع، ومدرسة الحلال والحرام.

(١) رواه الجماعة.

هذا.. ولا يفوتني بعد أن عرفنا بعض الأحكام المتعلقة بالحلال والحرام المشار إليه في حديث: «إن الحلال بين وإن الحرام بين..» الذي وقفت على نصه، والذي رأيت من الخير أن أجعله أساساً لتلك الملاحظات الفقهية:

لا يفوتني بعد كل هذا: أن أذكرك وأذكر نفسي بالمعنى المراد من قول الرسول ﷺ - في نص الحديث المشار إليه -: «وبينهما أمور مشتهات لا يعلمهن كثير من الناس..» أى بين الحلال والحرام أمور مشتهة بالحلال والحرام، ولا يدرى كثير من الناس أمن الحلال هى أم من الحرام؟ فمن تركها استبراءً لدينه وعرضه فقد سلم، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يواقع الحرام كما أن من يرعى حول الحمى - وهو مكان محدد فى حدود السلطان لترعى فيه أنعامه وحدها ويحجر على غيرها أن تنال منه شيئاً - أوشك أن يواقع.

قال النووي^(١): «واعلم أن كل محرم له حمى يحيط به، فالفرج محرم وحماه الفخذان جعلاً حريماً للمحرم، وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم، فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم، فالمحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يندرج إلى المحرم.

* * *

ثم فى النهاية.. إليك أنا الإسلام.. درجات الورعين، كما ذكرها الإمام الغزالي فى الجزء الثانى من كتاب «إحياء علوم الدين»^(١)، وهى أربعة فإليك بيانها.

الدرجة الأولى : درجة العدول، وهم الذين يتركون المحرمات كلها، ويقتصرون على المباحات.

(١) فى شرح الأربعين النووية.

(٢) وكما لخصها صاحب كتاب (الفقه الواضح) ج ١ ص ٢٧.

الدرجة الثانية : درجة الصالحين، وهم الذين يتركون المتشابهات خوفاً من الوقوع في المحرمات.

الدرجة الثالثة : درجة المتقين، وهم الذين يتركون الجائزات، خوفاً من أن تؤدي إلى ارتكاب شيء من المحرمات:

قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد درجة المتقين، حتى يدع ما لا بأس به، مخافة ما به بأس،

(رواه ابن ماجه)

وروى أن أبا بكر رضى الله عنه، قال: «كنا نترك سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب واحد من الحرام».

والمعنى: كنا ولازلنا، مثل قوله: «وكان الله غفوراً رحيماً»^(١).

الدرجة الرابعة : درجة الصديقين المقربين، وهم الذين يكتفون من دنياهم بما يسد الرمق، ويستر العورة، ويجعلون الآخرة مبلغ همهم، ومنتهى بغيتهم: الميراث المحمدى الذى هو أعظم ميراث، وأنفع ميراث على وجه الأرض.

وحسبك أنخا الإسلام.. أنك ستكون بهذا الميراث من أغنى الأغنياء وأسعد السعداء الذين يقولون: «نحن فى لذة لو يعلمها الملوك لحاربونا عليها بالسيوف».

ولأنها لذة الطاعة، ولذة المعرفة التى على أساسها يستطيع العبد الصادق أن يكون فى أعلى درجات الكمال:

لأنه سيكون قد عرف الله تعالى حق المعرفة، وقديماً قالوا:

من عرف الله فلم تُغنّه معرفة الله فذاك الشقى

(١) النساء: ٩٦، وسور أخرى.

والمعرفة هذه لن تكون إلا على أساس من العلم النافع والفقه الصادق، وفي الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم وابن ماجه، يقول النبى: «من یرد الله به خیراً یفقه فی الدین» .

ولهذا.. فقد قال معاذ بن جبل رضى الله عنه^(١) «تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبیح، والبحث عنه جهاد^(٢)، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنيس فى الوحشة^(٣)، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزین عند الانحلاء. یرفع الله به أقواما فیجعلهم فى الخیر قادة أئمة تقتص آثارهم، ویقتدى بفعالهم، وینتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة فى خلعتهم، وبأجنحتها تمسحهم، ویستغفر لهم كل رطب ویابس، وحیتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابیح الأبصار من الظلم، یبلغ العبد بالعلم منازل الأخیار والدرجات العلی فى الدنیا والآخرة، التفکر فیہ يعدل الصیام، ومدارسته تعدل القیام^(٤)، به توصل الأرحام^(٥). وبه یعرف الحلال من الحرام، وهو إمام العمل، والعمل تابعه یلهمه السعداء، ویحرمه الأشقیاء» .

وهذا هو السر، أو هو السبب فى أن أبا هريرة رضى الله عنه، قال للتجار كما علمنا، يوم أن مر بسوق المدينة: «یا أهل السوق.. ما أعجزكم^(٦)! قالوا: وما ذاك

(١) وورد أنه حديث شريف .

(٢) لأنه بذل الجهد فى عمل من أعمال الخیر.

(٣) أى فى الخلوة والانفراد.

(٤) أى مذكراته ومحاولة الفهم فیہ وتدبر مسائله.

(٥) جمع رحم وهى القرابة.

(٦) أى: أى شىء أعجزكم وقعد بكم عن إدراك هذا الخیر.

يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله، يُقسم وأنتم ههنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه، قالوا: وأين هو؟ قال: فى المسجد، فخرجوا سراعاً، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: مالكم^(١)؟ فقالوا: يا أبا هريرة.. قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر فيه شيئاً يُقسم، فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم فى المسجد أحداً؟ قالوا: بلى.. رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرأون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم أبو هريرة: ويحكم.. فذاك ميراث محمد ﷺ^(٢).

فلنكن إن شاء الله تعالى من أهل هذا الميراث المحمدى حتى نفوز فوزاً عظيماً:

ففى الصحيح، قال رسول الله ﷺ: «إن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر».

حقق الله لنا جميعاً هذا الحظ الوافر ونفعنا به، وجعله ميراثاً لنا ولأبنائنا وأحفادنا.. إلى يوم الدين.. آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طه عبد الله العفيفى

القاهرة - المعادى

الأربعاء ٣ شعبان ١٤٠٢ هـ.

٢٦ مايو ١٩٨٢ م.

(١) يعنى لماذا رجعتم سراعاً كما ذهبتم ولم تأخذوا حظكم من الميراث.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن.

خُتَامُ أَخَا الْإِسْلَامِ:

فقد رأيت بعد أن وقفت معك على (ميراث رسول الله ﷺ): أن أزوّدك ونفسي بموعظة من أعظم المواعظ الدينية التي قرأتها عن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه.. وذلك حتى تكون سبباً كبيراً فى عدم انشغالنا عن: (ميراث رسول الله ﷺ) الذى ينبغى علينا نحن المؤمنين بصفة خاصة أن لا نُشغَل عنه بأى شاغلٍ دنيوى حتى لا نُضِلَّ أو نُزَلَّ:

* فقد قرأت (١) أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، شيع جنازة، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة، فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها؟ فقال: نعم ناداني القبر من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز، ألا تسألنى ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى، قال: أحرقت الأكفان، ومزقت الأبدان، ومصصت الدم، وأكلت اللحم، ثم قال: ألا تسألنى ما صنعت بالأوصال (٢)؟ قلت: بلى، قال: نزع الكفين من الذراعين، والذراعين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين (٣) من الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين، ثم بكى عمر، ثم قال:

(١) فى كتاب (الوصايا) لابن العربى، وغيره من الكتب...

(٢) الأوصال: أى المفاصل.

(٣) الورك: ما فوق الفخذ - وهى مؤنثة.

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا بَقَاؤُهَا قَلِيلٌ، وَعَزِيزُهَا ذَلِيلٌ، وَغَنِيهَا فَقِيرٌ، وَشَابُّهَا يَهْرَمُ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ، فَلَا يَغُرُّكُمْ إِقْبَالُهَا مَعَ مَعْرِفَتِكُمْ بِسُرْعَةِ إِدْبَارِهَا، فَالْمَغْرُورُ مِنْ اغْتِرَّابِهَا، أَيْنَ سُكَّانُهَا الَّذِينَ بَنَوْا مَدَائِنَهَا، وَشَقُّوا أَنْهَارَهَا، وَغَرَسُوا أَشْجَارَهَا، وَأَقَامُوا فِيهَا أَيَّاماً يَسِيرَةً؟ غُرَّتْهُمْ بِصَحَّتِهِمْ فَاغْتَرَوْا بِنَشَاطِهِمْ، فَرَكِبُوا الْمَعَاصِيَ، إِنَّهُمْ كَانُوا وَاللَّهِ فِي الدُّنْيَا مَغْبُوطِينَ بِالْأَمْوَالِ، عَلَى كَثْرَةِ الْمَنَعِ عَلَيْهِ مُحْسُودِينَ عَلَى جَمْعِهِ، مَاذَا صَنَعَ التُّرَابُ بِأَبْدَانِهِمْ، وَالرَّمْلُ بِأَجْسَادِهِمْ، وَالْدِّيدَانُ بِعِظَامِهِمْ وَأَوْصَالِهِمْ؟ كَانُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى أَسْرَةٍ مَمْهَدَةٍ، وَفِرْشٍ مَنْضُودَةٍ، بَيْنَ خَدَمٍ يَخْدُمُونَ، وَأَهْلِ يَكْرَمُونَ، وَجِيرَانٍ يَعْضُدُونَ، فَإِذَا مَرَّتْ فَنَادَهُمْ إِنْ كُنْتَ مَنَادِيًّا وَمَرَّ بِعَسْكَرِهِمْ، وَانْظُرْ إِلَى تَقَارُبِ مَنَازِلِهِمْ، وَاسْأَلْ غَنِيَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ غِنَاهُ، وَاسْأَلْ فَقِيرَهُمْ مَا بَقِيَ مِنْ فَقْرِهِ، وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْأَلْسِنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَتَكَلَّمُونَ، وَعَنِ الْأَعْيُنِ الَّتِي كَانُوا بِهَا يَنْظُرُونَ، وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْجُلُودِ الرَّقِيقَةِ، وَالْوُجُوهِ الْحَسَنَةِ، وَالْأَجْسَادِ النَّاعِمَةِ: مَا صَنَعَ بِهَا الدِّيدَانُ؟ مَحَتِ الْأَلْوَانَ، وَأَكَلَتِ اللَّحْمَانَ^(١)، وَعَفَرَتِ الْوُجُوهِ، وَمَحَتِ الْحَاسِنَ، وَكَسَرَتِ الْفَقَارَ، وَأَبَانَتِ الْأَحْشَاءَ، وَمَزَّقَتِ الْأَشْلَاءَ^(٢)، وَأَيْنَ حُجَابُهُمْ وَنَوَابِهُمُ، وَأَيْنَ خَدَمُهُمْ وَعَبِيدُهُمْ، وَجَمْعُهُمْ وَمَكْنُونُهُمْ؟ وَاللَّهِ مَا فَرَشُوا فَرَاشًا، وَلَا وَضَعُوا هُنَالِكَ مَتَكًا، وَلَا غَرَسُوا لَهُمْ شَجَرًا، وَلَا أَنْزَلُوهُمْ مِنَ اللَّحْدِ قَرَارًا، أَلَيْسُوا فِي مَنَازِلِ الْخَلَوَاتِ وَالْفَلَوَاتِ؟ أَلَيْسَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَيْهِمْ سَوَاءٌ؟ أَلَيْسَ هُمْ فِي مَدْلَهْمَةٍ ظَلَمَاءٌ؟ قَدْ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعَمَلِ، وَفَارَقُوا الْأَحِبَّةَ، فَكَمْ مِنْ نَاعِمٍ وَنَاعِمَةٍ أَصْبَحُوا وَوُجُوهُهُمْ بِأَلِيَّةٍ، وَأَجْسَادُهُمْ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ نَائِيَةً، وَأَوْصَالُهُمْ مَتَمَزِّقَةٌ، وَقَدْ سَالَتِ الْحَدَقَاتُ عَلَى الْوُجُنَاتِ، وَامْتَلَأَتِ الْأَفْوَاهُ دَمًا وَصَدِيدًا، وَدَبَّتْ دَوَابُ الْأَرْضِ فِي أَجْسَادِهِمْ فَفَرَّقَتْ أَعْضَاءَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا وَاللَّهِ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى عَادَتِ الْعِظَامُ رَمِيمًا، قَدْ فَارَقُوا الْحَدَائِقَ، وَصَارُوا بَعْدَ السَّعَةِ إِلَى الْمَضَائِقِ، وَقَدْ تَزَوَّجَتْ نِسَاؤُهُمْ، وَتَرَدَّدَتْ فِي

(١) اللحمان: جمع لحم - بالضم.

(٢) أشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد البلى والتفريق.

الطرق أبناءهم، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره، الغض الناضر فيه، المنعم بلذته، يا ساكن القبر غداً: ما الذى غرك من الدنيا، هل تعلم أنك تبقى لها أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء، ونهرك المطرد؟ وأين ثمرتك الحاضرة ينعمها، وأين رفاق ثيابك، وأين طيبك، وأين نحورك، وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلاً، وهو يرشح عرقاً، ويتلظى عطشاً، يتقلب فى سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر الأجل ما لا يمتنع منه، هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليته فى القبر وراجعاً عنه، ليت شعري: كيف كنت على خشونة الثرى؟ ليت شعري: بأى خديك يبدأ البلى، وأى عينيك سألت أولاً؟ يا مجاور الهلكات، صرت فى محل الموتى، ليت شعري: ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا، وما يأتينى به من رسالة ربى؟ ثم تمثل ناظماً:

تُسَرُّ بِمَا يَفْنِي وَتُشْغَلُ بِالْمُنَى	كَمَا اغْتَرَّ بِاللذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ
نَهَارُكَ يَا مَغْرُورٌ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ	وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَكَ لَازِمٌ
وَتَعْمَلُ شَيْئاً سَوْفَ تَكْرَهُ غَيْبَهُ (١)	كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ الْبَهَائِمُ

* * *

ثم انصرف، فما بقى بعد ذلك إلا جمعة ثم مات رضى الله عنه.

فاتعظ	منه	وأنذر	إنه	فى	الوعظ	غاية
واتخذ	ما	فيه	ذكرى	إن	فى	هذا كفاية

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طه عبد الله العفيفى

(١) غب كل شيء - بالكسر -: عاقبته.

الصفحة	محتويات الكتاب
٥	تصدير
٧	الإهداء
٩	مقدمة الطبعة الثانية
١٥	ميراث رسول الله (تمهيد)
٢٠	درس لا بد وأن نستفيد من أبي هريرة رضى الله عنه
٢١	الآداب المتعلقة بالمسجد
٢٨	المكروهات المتعلقة بالمسجد
٣٦ - ٥٨	الصلاة

	الوضوء
	الترغيب في حضور الجماعة
	الترغيب في التبكير إلى المسجد
	التحذير من ترك صلاة الجماعة بدون عذر
	اعذار التخلف عن الجماعة: البرد والمطر والحر الشديد والظلمة
	والخوف من ظالم حضور الطعام،
	مدافعة الأخيشتين.
	السنن السراتية (المؤكددة) : سنة الفجر، سنة الظهر، سنة المغرب،
	سنة العشاء.
	السنن غير المؤكدة: ركعتان أو أربع قبل العصر، ركعتان قبل
	المغرب، ركعتان قبل العشاء.

٥٩ - ٨٧	صلاة الوتر:
---------	-------------

	وقت الوتر
	عدد ركعات الوتر
	القراءة في الوتر
	القنوت في الوتر

الدعاء بعده
ما بعد إقامة الصلاة
ما بعد الصلاة
بعض الأدعية الواردة بعد الصلاة
تعليق
حضور النساء الجماعة في المساجد
الإسلام بأمر بالانتشار في الأرض بعد الصلاة
قراءة القرآن في المسجد
قراءة سورة الكهف أو غيرها في المسجد
أدلة حرمة رفع الصوت في المسجد
فضل تلاوة القرآن في الصلاة وغيرها وفضل تعلمه وتعليمه
قراءة سورة الفاتحة وما ورد في فضلها
قراءة سورة البقرة وآل عمران وما جاء فيمن قرأ آخر آل عمران فلم
يتفكر فيها.
قراءة آية الكرسي وما جاء في فضلها
قراءة سورة الكهف وما جاء في فضلها
فضل قراءة (حم) الدخان ليلة الجمعة
قراءة سورة (يس) وما جاء في فضلها
قراءة سورة (تبارك الذي بيده الملك) وما جاء في فضلها
قراءة (إذا الشمس كورت) وما يذكر معها
قراءة (إذا زلزلت) وما يذكر معها
قراءة (ألهاكم التكاثر)
قراءة (قل هو الله أحد) وما جاء في فضلها
قراءة المعوذتين
أهم العلوم التي يوحى بها القرآن الكريم
الترهيب من نسيان القرآن بعد حفظه

دعاء حفظ القرآن الكريم
الآداب والأحكام الفقهية المتعلقة بتلاوة القرآن وسجدة التلاوة
سجدة الشكر
مكروهات أثناء التلاوة
الأوقات المختارة للقراءة، أفضلها

١٦٨-١٣٦

الركن الثالث والأخير من التراث المحدث

تذاكر الحلال والحرام في المسجد
طلب العلم في المسجد
الحلال والحرام عند جمهور الفقهاء
١ - الأصل في الأشياء الإباحة
٢ - الحلال ما أحله الله ورسوله لا ما أحله الإنسان بعقله وهواه
٣ - لم يحل الله تبارك وتعالى لعباده إلا الطيبات ولم يحرم عليهم
إلا الخبائث
٤ - لا يجوز للعبد أن يحرم على نفسه شيئاً أباحه الله له من غير

ضرورة

ما حرم علينا في المطعومات
حكم السمك والجراد وصيد البحر
تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام
تحريم الذهب والحرير الخالص
تحريم الزنا
تحريم النظر إلى العورات
أحل الله البيع وحرم الربا
درجات الورعين

١٧١ - ١٦٩

١٧٥ - ١٧٣

وختاماً

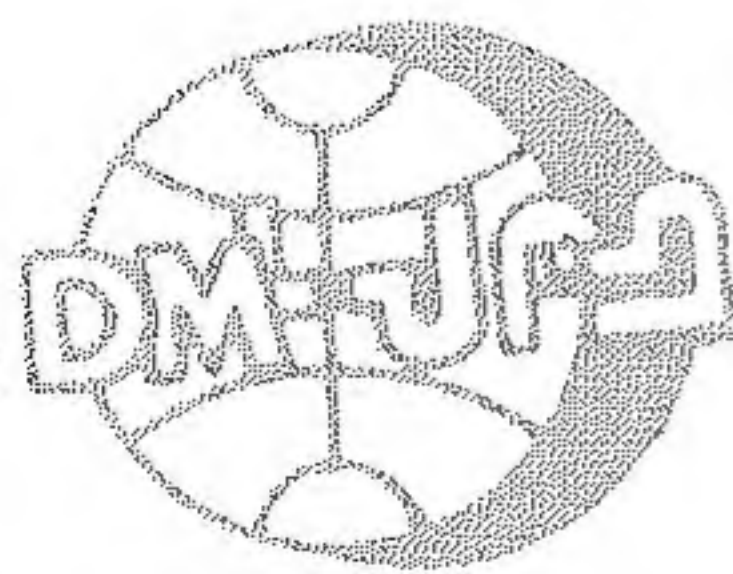
محتويات الكتاب

هذا الكتاب

يدور حول خبر جاء فيه : أن أبا هريرة رضى الله عنه ذهب ذات يوم إلى السوق . . فرأى التجار فيه وقد تكالبوا على الدنيا . . فقال لهم بأسلوب تربوى تعلمه من أستاذه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : أراكم هاهنا وميراث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقسم في المسجد . . فلما سمعوا كلمة (ميراث) أسرعوا إلى المسجد ظناً منهم أنه من متاع الدنيا الزائل . . ولكنهم لم يجدوا في المسجد ميراثاً من هذا النوع الذى أسرعوا من أجل الحصول عليه . . فعادوا إليه وقالوا له : لم قلت كذا وكذا . . إننا عندما ذهبنا إلى مسجد الرسول لم نجد ميراثاً يُقسم . . قال : فماذا وجدتم ؟ قالوا : وجدنا قوماً يصلون ، وقوماً يقرأون القرآن ، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام . . قال : فذلك (ميراث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) .

فاقرأ كل هذا أخا الإسلام بالتفصيل فى هذا الكتاب المبارك وأنت تسأل الله تعالى أن يجعلك وإيَّانا أهلاً لهذا الميراث المحمدى . . اللهم آمين ،

(الناشر)



طبعة . نشر . توزيع

١٦ شارع عبدالحق تروت - تلقيون ٣٩٢٣٥٢٥ ٣٩٣٦٧٤٣ فاكس ٣٩٠٩٩١٨ رفقا دار شادر - ص ب ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIYAH AL-LUBNANIAH

PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO